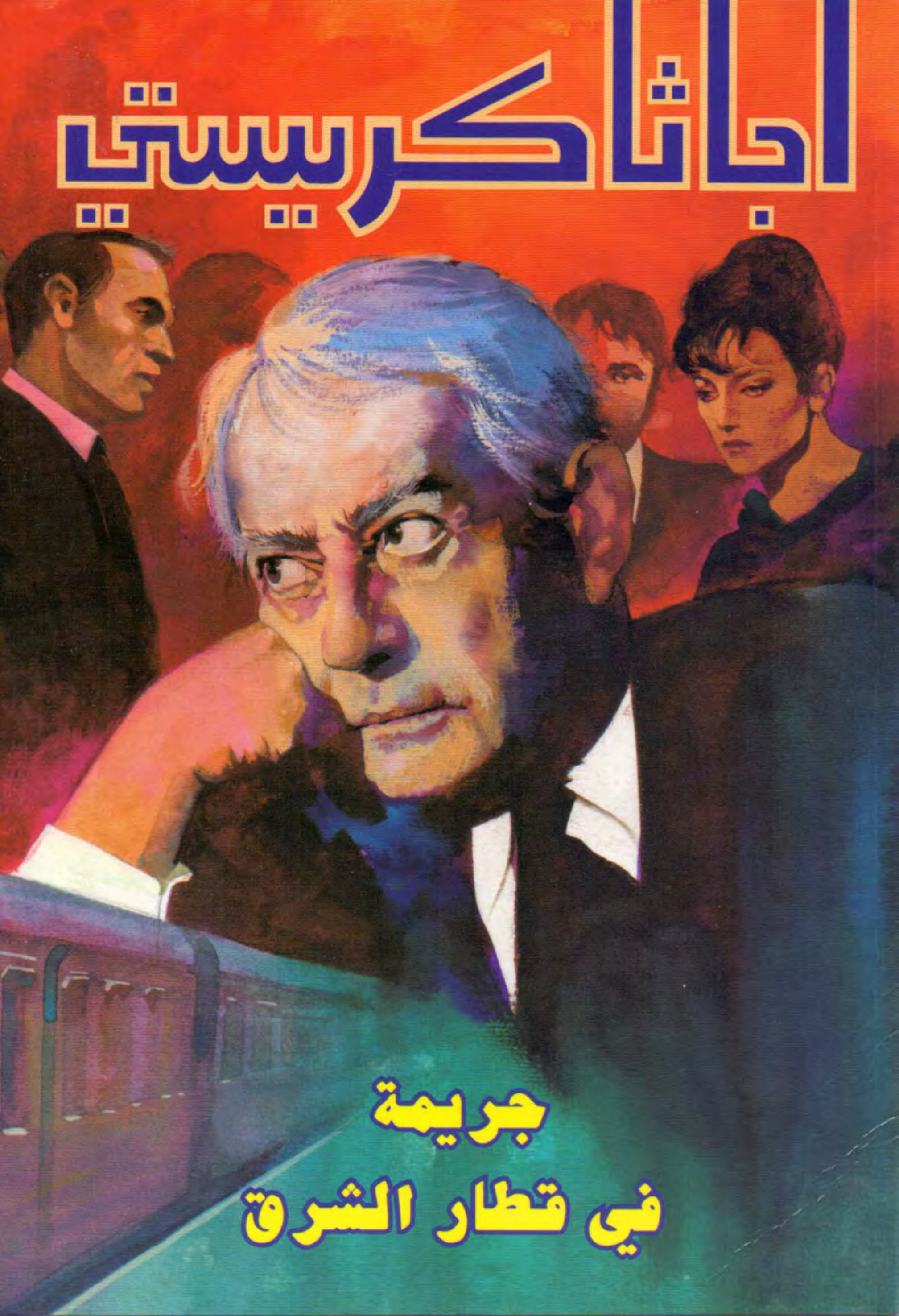

اجاثا كريستي
جريمة
في قطار الشرق



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جريمة في قطار الشرق

Murder on the Orient Express

توقَّفَ قطارُ الشرق على الرغم من تَهالكه بعد مُنتصف الليل مُباشرة، بفعْل الثلوج التي أسقطتْها الرياح، وقد ظلَّ أحدُ الركاب في مَقْصورته، إلا أنه كان يرقد ميتًا حيثُ تمَّ طعنه باثنتي عشرة طعنة، بينما أُغلق بابُ المقصورة من الداخل... لقد حاولَ الجناة الحقيقيون إلقاء اللوْم على السيدة ذات الشَّال الأحمر، في محاولة منهم لإبعاد المخْبر عن القضية، إلا أنه نجحَ في الوُصول إلى نتيجة مُزْدوجة الأبعاد ولكنّها مأساوية بعضَ الشيء.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338318-9



جريمة في قطار الشرق

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

جريمة في قطار الشرق
(28)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه – لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 66 212 9 961 00

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي للصحافة – دار البشير – دار إي بي سي

قام بعون الله الأستاذان / **وفاء محمد الخطيب - فهمي أحمد محمد**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الاسم الأصلي للرواية

Murder on the orient Express

(1934)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

جريمة في قطار الشرق

- 1 -

مسافر جليل الشأن

في الساعة الخامسة من صبيحة يوم من أيام الشتاء. وقف القطار السريع بمحطة "**حلب**" كالمعتاد.

كان هذا القطار يتألف من قاطرة وملحقاتها. ومطبخ ومركبة للطعام وأخرى للنوم وثالثة ورابعة من مركبات السفر العاديَّة. ودخل المحطة رجلان أحدهما شاب في مقتبل العمر يعرف موظفو المحطة أنه الملازم "**دوبوسك**" الفرنسي، والآخر قصير القامة يحجب وجهه بشملة (كوفية) ولا يظهر من قسمات وجهه سوى أنفه الأحمر من تأثير البرد.

وسار الرجلان حتى اقتربا من مركبة النوم، فصعد الرجل القصير إحدى درجتيها، ووقف هناك يتحدث إلى الملازم الشاب في انتظار صدور الإشارة لرحيل القطار. لم يكن موظفو المحطة يعرفون شيئًا عن هذا الرجل القصير القامة، ولم يكن "**دوبوسك**" نفسه يعلم عنه إلا أنه بلجيكي جليل الشأن، كان القائد الفرنسي في "**حلب**" ينتظر قدومه منذ أسبوع بفارغ الصبر.

وقبل هذا الأسبوع، أو بمعنى آخر قبل أن يحضر هذا البلجيكي، كان القائد الفرنسي في حيرة وقلق يرجع سببهما– في الغالب– إلى سلسلة من الحوادث العجيبة وقعت في المدن الأخيرة، وكان أهمها حادث انتحار أحد كبار الضباط واستقالة ضابط آخر، وصدور طائفة من التعليمات العسكريَّة الصارمة. بيد أن

الموقف تغير تغيرًا واضحًا بعد وصول ذلك البلجيكي القصير القامة، فحلت مظاهر الارتياح والطمأنينة على وجه القائد الفرنسي محل القلق والجزع، وألغيت التعليمات العسكريَّة الاستثنائيَّة التي أصدرها مؤخرًا. وفي فجر اليوم الذي نحن بصدده، دعا القائد الملازم "**دوبوسك**" وكلفه بمرافقة البلجيكي الخفي إلى المحطة وتوديعه بكل تجلة واحترام. وقد سمع الملازم "**دوبوسك**" طرفًا من حديث دار بين القائد والرجل البلجيكي قبل أن يبرح هذا الأخير المعسكر إلى المحطة، وقد شد القائد على يد الرجل بحرارة وقال له بلهجة تنم عن الإخلاص:

– إنك أنقذتنا يا عزيزي "**بوارو**"، وأنقذت شرف الجيش الفرنسي، وحقنت كثيراً من الدماء، فكيف أشكر لك تفضلك بتلبية دعوتي، واجتيازك هذه المسافة الطويلة كلها. وقاطعه "**بوارو**" قائلا:

– لا تنس يا سيدي العميد أنك أنقذت حياتي مرة.

فرد عليه العميد بكلمة تناسب المقام. وقال إنه لم يفعل غير الواجب، وجرى على لسانه ذكر البطولة التي أظهرها البلجيكيون في الحرب الكبرى، وغير ذلك من عبارات المجاملة، وانتهى الأمر بين الرجلين بأن تعانقا وشد كل منهما على يد صاحبه بحرارة.



أما ما هي الخدمة التي قام بها البلجيكي، فذلك ما لم يعرف عنه الملازم "**دوبوسك**" شيئًا، كل الذي كان يعرفه ويشعر به وهو واقف في انتظار رحيل القطار، أن العميد أخرجه من فراشه في ذلك الزمهرير لمرافقة صديقه "**بوارو**" إلى المحطة. وأخيراً أقبل موظف عربة النوم وقال بالفرنسيَّة محدثًا "**بوارو**" :

– هل لسيدي أن يتفضل بالدخول، إن القطار يوشك أن يتحرك. وهنا لمعت عينا الملازم بسرور، واعتدل في مكانه وراح يلقي خطبة الوداع التي أعدها في ذهنه، ورد عليه "**بوارو**" بكلمة ناعمة، ثم تحرك القطار وقفل الملازم عائداً.. وهو يفرك يديه؛ التماسا للدفء، وارتياحًا لخلاصه من مهمته..

وسار السيد "**بوارو**" خلف موظف عربة النوم، ودله هذا على المكان الذي حجز له. وقال:

– وها هي ذي حقيبة سيدي جئت بها إلى هنا. وأعتقد أن سيدي يقصد إلى "**إسطنبول**". فأجاب "**بوارو**" وهو يضع في يده قطعة نقود فضيَّة:

– نعم. ولكن أخبرني. هل يوجد بالقطار كثير من المسافرين؟

– كلا يا سيدي، يوجد مسافران إنجليزيان. أحدهما عقيد بالجيش الهندي، والثانية صبيَّة إنجليزيَّة قادمة من "**بغداد**".

وحوالي الساعة العاشرة خرج "**بوارو**" إلى مركبة الطعام، ولم يجد بها غير الفتاة الإنجليزيَّة التي قال عنها الموظف إنها قادمة من "**بغداد**". كانت طويلة القامة، نحيلة القوام، سمراء اللون، تناهز الثامنة والعشرين من عمرها. وقد راقبها "**بوارو**" قليلا وأدرك من جلستها ومن كلامها مع الخادم عندما طلبت قدحًا من القهوة أنها خبرت الحياة في قطارات السكة الحديد التي تجتاز المسافات البعيدة. ولم يجد "**بوارو**" ما يصرف فيه وقته غير الجلوس أمام إحدى الموائد ومراقبة هذه الإنجليزيَّة الحسناء، وهي جالسة جلستها الرزينة وبين أصابعها قدح القهوة. وما هي إلا دقائق معدودة، حتى فتح باب مركبة الطعام، ودخل رجل آخر طويل القامة، أسمر البشرة، في نحو الخامسة والأربعين من عمره. فقال "**بوارو**" لنفسه حينما رآه: «هذا هو العقيد الإنجليزي بغير شك». وأحنى العقيد قامته باحترام أمام الفتاة وهو يقول:

– طاب صباحك يا آنسة "**دينهام**" . فأجابته :

– طاب صباحك يا عقيد "**أريتنوت**" .

وجلس العقيد . ودعا الخادم وطلب إليه أن يأتيه ببيض وقهوة . ورفع العقيد بصره على "**بوارو**" وصعده ببطء، ثم غمغم كلامًا بألفاظ غير مفهومة .

وساد الصمت بين العقيد والفتاة . وأقبل الخادم حاملا طعام إفطار العقيد، وعندئذ بدأ العقيد يتكلم فتحدث عن (البنجاب) في "**الهند**" . وألقى على الفتاة بعض الأسئلة عن "**بغداد**"، وفهم "**بوارو**" من الألفة التي سادت بينهما بعد ذلك، ومن بعض ألفاظ سمعها منهما . أن العقيد يعرف بعض أصدقاء الفتاة معرفة شخصيَّة وثيقة .

وسأل العقيد الفتاة عما إذا كان في نيتها الذهاب إلى "**إنجلترا**" بعد أن تمكث قليلا في "**إسطنبول**"، فأجابته بأنه ليس في نيتها أن تمكث في "**إسطنبول**" قليلا أو كثيرًا . فقال العقيد :

– هذا من دواعي سروري على كل حال؛ لأن في نيتي كذلك مواصلة السفر إلى "**إنجلترا**" .

ولاحظ "**بوارو**" أن الدم صعد إلى وجه العقيد عندما قال ذلك . وفهم أن صحبة الفتاة قد طابت له . ثم لاحظ بعد ذلك أنه رافقها إلى غرفتها . وعندما حان موعد الغداء، جلس "**بوارو**" منفردًا كعادته، أما العقيد فإنه شاطر الفتاة مائدتها . ولم يدر بين الاثنين حديث ما . ولكنهما نهضا بعد الطعام، وأطلا من إحدى نوافذ المركبة على مدينة "**طوروس**" ومناظرها البديعة . وسمع "**بوارو**" الفتاة تقول :

– ما أجمل هذه المنطقة!! ليتني أستطيع أن أجد عملا في هذه المدينة . فقال العقيد بحماسة :

– إن مهنتك.. أعني مهنة تربية الأطفال، هي مهنة شاقة متعبة؛ لأن المربية تجد نفسها دائما بين نارين. صلف الوالدين وأوامرهما، وعناء الطفل ومضايقاته. فضحكت الفتاة وأغرقت في الضحك. وقالت:

– لا تعتقد ذلك يا عقيد. أؤكد لك أن المربية تتمتع دائما باحترام الوالدين.

فصمت العقيد ولعله خجل من حماسته. ولم يدر بينه وبين الفتاة حديث آخر في ذلك النهار، إذ إن الفتاة استأذنته وخلت إلى نفسها في غرفتها. ووصل القطار في منتصف الليل إلى "**قونيا**"، وهناك خطر لـ"**بوارو**" أن يتريض قليلا على رصيف المحطة. فارتدى معطفه. وترك عربة النوم. وأخذ يسير جيئة وذهاباً بجوار القطار. ووصل مرة في سيره إلى القاطرة. فرأى شخصين محتجبين في الظلام وعرف من صوتيهما أنهما العقيد والفتاة. ونطق العقيد باسم الفتاة بلهجة الاستعطاف: "**ماري**". فقاطعته الفتاة بلهجة أخرى غير تلك اللهجة الرزينة التي يعرفها "**بوارو**" قالت:

– ليس الآن.. ليس الآن.. لابد أن ينتهي كل شيء أولا.. وعندئذ.. وهنا رأى "**بوارو**" أن من الكياسة أن يبتعد. وخيل إلى "**بوارو**" في اليوم التالي أن شجاراً لابد قد حدث بين العقيد والفتاة؛ لأنهما لم يجتمعا إلا قليلا. ولم يتبادلا غير بضع كلمات في جو من الفتور، وخيل إليه كذلك أن الفتاة قلقة لأمر ما. وغلب على ظنه أنها بكت؛ لأنه رأى حول عينيها هالة سوداء. وحدث حوالي منتصف الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم أن وقف القطار فجأة، فأطل "**بوارو**" برأسه من النافذة ورأى بعض العمال وموظفي القطار قد وقفوا في الطريق بجوار إحدى المركبات، وراحوا يشيرون بأصابعهم إلى مكان معين تحت المركبة ويتحدثون باهتمام. ومر بـ"**بوارو**" في هذه الأثناء موظف عربات النوم فاستوقفه. وألقى عليه سؤالا. فأجابه الموظف.

وانسحب "**بوارو**" من النافذة وكاد وهو يفعل ذلك أن يصطدم بالآنسة "**دينهام**" التي أقبلت بدورها لتستفسر عن سبب وقوف القطار. سألته بالفرنسيَّة باهتمام وقلق:

- هل وقع حادث؟ لماذا توقف القطار؟ فأجابها:

- كلا يا آنسة.. لم يحدث شيء.. غير أن مركبة الطعام قد التهبت من الاحتكاك، ولكن العمال أطفأوا النار في الحال، وهم الآن يقومون بإجراء الإصلاحات الضروريَّة. فاطمئني.. فليس ثمة أي خطر.. فقلبت شفتيها كأنما لا يعنيها الخطر وقالت بقلق أيضًا:

- ولكن ما العمل؟ من المقرر أن يصل هذا القطار في السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين.. ويتعين علينا بعد ذلك أن نجتاز البوسفور لنلحق بقطار الشرق الذي يبدأ سفره من شرق "أوربا" إلى غربها في الساعة التاسعة تماما.. فإذا تعطل القطار في هذا المكان ساعة أو ساعتين. استحال علينا اللحاق بقطار الشرق. فسألها:

- وهل يهمك ذلك كثيراً يا آنسة؟

- نعم، نعم.. يهمني كثيراً.. ويجب أن ألحق بذلك القطار.

وتركته ومضت في الطريق الموصل إلى مركبة العقيد، بيد أنه لم يكن ثمة ما يدعو إلى قلقها؛ لأن القطار تحرك بعد عشر دقائق.. وأسرع السائق في الطريق فبلغ القطار المحطة التالية في الموعد المحدد. وكان الجو عاصفا والبوسفور مضطربا. فافترق "**بوارو**" عن العقيد والفتاة عند الشاطئ.. ولم يرهما بعد ذلك؛ لأنه ركب سيارة ذهبت به من جسر (غلطة) إلى فندق "**توكاتليان**".

◆◆◆◆◆

- 2 -

فندق "توكاتليان"

سأل "**بوارو**" مدير الفندق عما إذا كان قد حجز له غرفة. فأجابه المدير بالإيجاب. وعندئذ استفسر عن رسائله.. وعلم أنه قد وردت باسمه ثلاث رسائل وبرقيَّة.. فوضع الرسائل في جيبه وتناول البرقيَّة وألقى عليها نظرة فاحصة.

لم يكن ينتظر ورود هذه البرقيَّة في ذلك الوقت. فضها ببطء وقرأ فيها ما يلي:

« حدث التطور الذي توقعته في قضيَّة "**كاستر**". وكان حدوثه فجائيا. عد في الحال ».

ولم يكد يفرغ من تلاوة البرقيَّة حتى ضرب الأرض بقدمه. وظهرت على وجهه علامات الضجر. ثم نظر إلى ساعته وقال لمدير الفندق:

– يجب أن أواصل سفري في الحال فمتى يرحل قطار الشرق؟

– في الساعة التاسعة يا سيدي.

– هل تستطيع الاتصال بالجهات المختصة لتحجز لي مكانًا في عربة النوم؟

– بكل تأكيد يا سيدي. فعدد المسافرين قليل في هذه الفترة من السنة. هل أحجز لك مكانًا بالدرجة الأولى؟

– نعم..

– حسنًا يا سيدي، إلى أين تريد السفر؟!

– إلى "**لندن**". وقصد "**بوارو**" بعد ذلك إلى صالة الطعام. وبينما كان يتحدث مع الخادم إذا بيد توضع على كتفه وإذا به يسمع صوتا يقول:

– ما أسعد هذه المصادفة يا عزيزي! فنظر "**بوارو**" خلفه ورأى رجلا بدين الجسم، قصير القامة ينظر إليه. وعلى شفتيه ابتسامة تدل على السرور والارتياح. فنهض واقفا وهتف:

– آه.. أهذا أنت يا "**بوك**"!

– كيف حالك يا "**بوارو**"؟ وشد كل منهما على يد صاحبه بحرارة وشوق.

كان "**بوك**" بلجيكيا مثل "**بوارو**"، وكان يشغل وظيفة مدير عام شركة عربات النوم الدوليَّة.. وقد عرف "**بوارو**" منذ أعوام. قال "**بوك**":

– ما الذي جاء بك إلى هذا البلد النائي عن الوطن المحبوب؟ فأجاب "**بوارو**":

– كنت في مهمة في "**سوريا**".

– آه.. وهل تنوي العودة إلى "**بلجيكا**"؟! ومتى تعود؟

– الليلة.

– هذا بديع. سأرحل معك؛ لأن لي عملا في "**لوزان**". هل تسافر في قطار الشرق؟

– نعم. وقد طلبت الآن فقط أن يحجز لي مكان في عربة النوم. لقد كان بودي أن أقضي في هذه المدينة بضعة أيام ولكنني تلقيت برقيَّة تحتم سفري إلى "**إنجلترا**" في الحال.

– آه! إنك رجل نشيط يا صاحبي. ويسرني أن أعلم أنك بلغت قمة الشهرة. وأصبحت أعظم شرطي سري في "**بلجيكا**". قال "**بوارو**" بتواضع:

– لقد خدمني الحظ فوفقت إلى حل بعض المشكلات اليسيرة.

– لقد طبقت شهرتك الآفاق يا صديقي.. أنا سعيد برؤيتك، سأقابلك في القطار وربما قبل ذلك.. والآن أتركك لتتناول طعامك. وانصرف السيد "**بوك**" وأخذ "**بوارو**" يتناول طعامه.

ولـم يصرفه اهتمـامه بعدم تلطيخ شاربيه بالحساء عن إجالة الطرف حوله في قاعة الطعام ومراقبة الموجودين بما طبع عليه من فضول.

كان في قاعة الطعام ستة أشخاص يتناولون عشاءهم. بيد أن اثنين فقط من هؤلاء الستة لفتا نظر "**بوارو**".

كانا جالسين حول مائدة قريبة. وكان أصغرهما شابا في نحو الثلاثين من عمره، يدل مظهره وقسمات وجهه وحركاته على أنه أمريكي. أما زميله فكان يناهز الخامسة والستين. وله رأس أصلع، وفم باسم، وقسمات وجهه تدل في ظاهرها على البساطة وطيبة القلب، بيد أن "**بوارو**" رأى في عينيه ما يتعارض مع مظاهر البساطة والطيبة. فقد كانت عيناه ضيقتين يلمع فيهما بريق الخبث والدهاء. بل ولاحظ "**بوارو**" أكثر من ذلك، لاحظ أن هذا الشيخ نظر إلى ناحيته وأطال النظر لحظة. ثم انقلبت سحنته في الحال. ونهض واقفًا وهو يقول لصاحبه الشاب بصوت أجش:

– ادفع الحساب يا "**هكتور**". وبعد أن فرغ "**بوارو**" من طعامه. غادر القاعة. وقصد إلى غرفة الانتظار وهناك قابل صديقه "**بوك**". ورأى في ذات الوقت ذلك الشاب الأمريكي ومعه صاحبه الشيخ وهما يغادران الفندق. وسمع الثاني يقول: هل أرسلت الحقائب يا "**هكتور**"؟! فأجاب الشاب:

– نعم يا سيد "**راتشيت**". عندئذ أومأ "**بوارو**" برأسه نحوهما وقال محدثًا السيد "**بوك**":

– ما رأيك في هذين الرجلين؟

– إنهما أمريكيان.

– هذا واضح. إنما أردت أن أسألك رأيك في شخصيتهما.

– إنني رأيتهما في هذه الغرفة منذ نصف الساعة. وأقول لك الحق إنني لم أهتم

بالبحث في أمرهما، ومع ذلك فإنه يخيل إليّ أن الشاب ظريف.

– والشيخ؟

– لم أطمئن إلى منظره. وأنت؟ ففكر "**بوارو**" لحظة ثم قال:

– إنه رآني في غرفة الطعام. فخيل إليّ أن وحشا ينظر إليّ.

وهنا كف "**بوارو**" عن الكلام؛ لأنه رأى مدير الفندق يدنو منه وعلى وجهه علامات الاهتمام. فقال له مدير الفندق:

– يؤسفني أن أقول لك يا سيدي إنني لم أجد لك مكانًا في عربات النوم. فصاح السيد "**بوارو**":

– كيف ذلك..؟ لا يوجد مكان في هذا الوقت من السنة؟ فأجاب مدير الفندق:

– هذا ما قيل لي. ففكر "**بوك**" لحظة. ثم التفت إلى "**بوارو**" وقال:

– اطمئن يا صاحبي. لاتزال لدينا العربة رقم 16 التي نتركها دائمًا خالية للطوارئ. وقصد الرجلان عقب ذلك إلى المحطة. وهناك قوبل السيد "**بوك**" بالحفاوة والاحترام؛ نظراً لمكانته كمدير عام شركة عربات النوم. وهرول أحد الموظفين لاستقباله فسأله:

– هل حجزت لي مكانا؟

– نعم يا سيدي.. بالمركبة رقم (1).

– هل صحيح ما قيل لي من أن العربات جميعًا قد حجزت؟! فابتسم الموظف وأجاب:

– نعم.. وهذا في الحق من الغرابة بمكان.

– كيف ذلك.. لابد أن تكون هناك بعثة من الصحفيين أو الساسة، أو يكون هناك مؤتمر سياسي في بلد ما.

– لا علم لي بذلك يا سيدي.

– والمركبة رقم 16؟

– حجزت كذلك يا سيدي.

– هذا غريب حقا.. لابد من إيجاد مكان لصديقي هذا.. ألا يوجد مكان بالدرجة الثانية؟

– كلا.. وهنا قال "**بوارو**":

– إذن أستطيع السفر بإحدى المركبات العاديَّة. فأجاب "**بوك**":

– صبراً. ثم التفت إلى الموظف وسأله:

– وهل جاء جميع المسافرين؟ فتردد الموظف لحظة ثم قال:

– جاءوا جميعًا ما عدا صاحب الفراش رقم 7. فنظر السيد "**بوك**" في ساعته ثم قال:

– أمامنا أربع دقائق.. فإذا لم يحضر هذا المسافر أمكننا الاحتفاظ بالفراش لصديقي "**بوارو**".. ولكن من صاحب الفراش رقم 7؟ فنظر الموظف إلى قائمة معه ثم أجاب:

– إنه رجل إنجليزي يدعى "**هاريس**".

– قلبي يحدثني بأنه لن يحضر.. اذهب بالسيد "**بوارو**" وحقائبه إلى المكان الذي حجز لهذا الإنجليزي.. وإذا حضر السيد "**هاريس**" فقل له إنه جاء بعد فوات الوقت، وإنه لم يكن في الإمكان حجز الفراش حتى اللحظة الأخيرة..

– سمعًا وطاعة يا سيدي.

– ومهما يكن من أمر فإنني موجود وعلى استعداد لحل المشكلة إذا نشأت.

وتبع "**بوارو**" موظف شركة عربات النوم. فذهب به إلى مركبة وجد بها ذلك الشاب الأمريكي الطويل القامة الذي رآه في فندق "**توكاتليان**" مع الشيخ ذي

العينين الضيقتين.. وقد ظن "**بوارو**" أن هذا الشاب هو السيد "**هاريس**" الذي حجز له الفراش فسأله بالإنجليزيَّة:

– عفواً.. هل أنت السيد "**هاريس**"؟ فأجاب الشاب في لطف:

– كلا. اسمي "**ماكوين**".. ولكن يوجد بالمركبة فراش آخر.. ولعله الفراش الذي حجز لك.. فشكره "**بوارو**". ووضع الموظف حقائب الشرطي السري البلجيكي الكبير على مقربة من الفراش رقم (7) وبعد دقائق.. تحرك القطار وبدأ رحلته عبر "**أوربا**".

- 3 -

رجل في خطر

وفي صباح اليوم التالي تناول "**بوارو**" طعام الإفطار بمفرده. وقضى ساعات الصباح في دراسة القضيَّة التي دعي من أجلها إلى "**لندن**". ولما حان موعد الغداء قصد إلى مركبة الطعام فوجدها غاصة بالمسافرين، ولكنه سمع صوت صديقه "**بوك**" يدعوه للجلوس معه وتناول الطعام على مائدته. وتحدث الرجلان قليلا.. واهتم "**بوارو**" بعد الطعام بدراسة أحوال المسافرين. قال "**بوك**":

– ليت لي براعة "**بلزاك**" لأصور هؤلاء المسافرين، الذين جمعت بينهم الظروف فراحوا يعيشون تحت سقف واحد كأنهم أعضاء أسرة واحدة، ثم لا يلبثون بعد ساعات أو أيام أن يتفرقوا كل في سبيله، فلا يرى أحدهم صاحبه بعد ذلك. فقال "**بوارو**":

– ومع هذا لو وقع حادث.

– إنك كثير التشاؤم يا صاحبي، وأكبر الظن أنك أصبت بتخمة.. فضحك "**بوارو**" وأجاب:

– ربما، فأنا في الواقع لم أتناول طعامًا دسمًا منذ أيام.. وهذا الطعام الذي أتناوله الآن من أدسم ما تناولت.

وأجال الطرف حوله بعد ذلك. فرأى على المائدة المجاورة ثلاثة رجال يتناولون طعامهم في صمت. ففهم أنه لا توجد بينهم أية صلة.. ولكنه أدرك، من تقاطيع وجوههم وأساليبهم في تناول الطعام، أن أحدهم أمريكي، والثاني إنجليزي، والثالث إيطالي. ورأى على المائدة التي تليها سيدة متقدمة في السن، قد انفردت بالمائدة. كانت من أبشع النساء اللائي صادفهن "**بوارو**" في حياته الطويلة الحافلة، ومما زاد في دمامتها أنها كانت ترتدي ثيابًا فاخرة لا يتفق لونها مع لون وجهها الممتقع. وقد لاحظ "**بوك**" أن صاحبه يطيل النظر إلى وجه السيدة العجوز، وأنه يتأمل حليها الكثيرة من عقود وأقراط وخواتم فقال له:

– هل تعرفها؟ إنها الأميرة الروسيَّة "**دراجوميروف**".. وقد استطاع زوجها قبل الثورة أن يهرب أمواله إلى المصارف الأجنبيَّة، فهي تعتبر من أغنى الروسيات المهاجرات. فأطرق "**بوارو**" برأسه. وكان قد سمع الكثير عن هذه العجوز وأردف "**بوك**":

– ولكن ثروتها الواسعة لا تمنع الناظر إليها من الشعور بدمامتها وقبحها. فضحك "**بوارو**". ونظر إلى المائدة الرابعة فرأى حولها الفتاة الإنجليزيَّة "**ماري دينهام**" وقد جلست بين سيدتين إحداهما متقدمة في السن، والثانية في الحلقة الثالثة من عمرها. وتدل ملامحها على أنها ألمانيَّة. ولكنها كانت ثرثارة كثيرة الكلام. وانفرد بالمائدة الخامسة العقيد "**أريتنوت**" وقد رآه "**بوارو**" وهو ينظر إلى "**ماري دينهام**". وتساءل ترى هل دب بينهما شقاق؟ أم أن الفتاة وجدت من

مصلحتها كمربيَّة يجب أن يتوافر لها حسن السمعة بأن تتنكر لصاحبها الذي لازمته طيلة السفر. وحول "**بوارو**" نظره إلى موائد الجانب الآخر من المركبة فرأى أمام إحداها سيدة ألمانيَّة أو سويديَّة في مقتبل العمر ترتدي ثوبا أسود، وفهم من قسمات وجهها ومظهرها أنها ربما كانت خادمة أو وصيفة. ورأى حول مائدة أخرى فتى في مقتبل العمر يرتدي ثوبا من طراز إنجليزي، ولكن تقاطيع وجهه تدل على أنه من أهل "**رومانيا**" أو "**بولونيا**". وقد جلست أمامه فتاة في نحو العشرين من عمرها ترتدي ثوبًا رشيقًا يلائم لونها وتقاطيعها. وكانت الفتاة تتكلم بهدوء. وتضحك بين الفينة والفينة ضحكة رقيقة عذبة. فغمغم "**بوارو**":

– إنها حسناء ورشيقة.. لعلهما زوجان؟! فأطرق السيد "**بوك**" برأسه وأجاب:

– أظن ذلك. وأعتقد أن الزوج موظف بالسفارة الهنغاريَّة بـ"**إسطنبول**". ورأى السيد "**بوك**" أن سحنة صديقه "**بوارو**" قد تغيرت فجأة، فقال له وهو يبتسم:

– لعل بصرك وقع على السيد "**راتشيت**" الذي رأيته في الفندق، ولم يعجبك منظره. فأطرق "**بوارو**" برأسه ولم يجب. وتناول السيد "**بوك**" قدح القهوة ونهض وهو يقول:

– سأعود إلى غرفتي. وإذا شئت فاتبعني إليها متى فرغت من طعامك. وبقي "**بوارو**" وحده وبين يديه قدح القهوة. وأخذ المسافرون في مغادرة قاعة الطعام. وكانت الآنسة "**ماري دينهام**" أول من نهض. وتبعها العقيد، ثم انصرف الباقون واحدا بعد واحد. حتى لم يبق غير السيد "**راتشيت**" والشاب الأمريكي الوديع "**ماكوين**". الذي فهم "**بوارو**" أنه سكرتير أو ملحق بخدمة "**راتشيت**" المقيت.

ونهض "**راتشيت**" وهمس في أذن "**ماكوين**" كلمة، فانصرف هذا في الحال ومر "**راتشيت**" بمائدة "**بوارو**" وقال له بالإنجليزيَّة:

– هل تتكرم عليَّ بعود ثقاب؟ أرجو المعذرة إذا كنت قد أزعجتك، أنا أدعى

"**راتشيت**" .

فأحنى "**بوارو**" رأسه باحترام. وبينما هو يفتش في جيبه عن علبة ثقاب (كبريت) تناول "**راتشيت**" مقعدا وجلس أمام "**بوارو**" .. وأردف :

– أعتقد أن لي شرف الكلام مع السيد "**بوارو**" الشرطي السري البلجيكي الكبير.. أليس كذلك؟

فأحنى "**بوارو**" رأسه مرة أخرى ولم يجب ولكنه شعر بعيني "**راتشيت**" الضيقتين تصعدانه بحدة. قال "**راتشيت**" فجأة :

– لقد تعودنا في بلادنا الصراحة، وتعودنا أكثر من ذلك أن نسلك أقصر السبل إلى أغراضنا بغير مواربة. فأصغ إليّ يا سيد "**بوارو**" .. إن لدي عملا لك. فرفع "**بوارو**" حاجبه ببطء ثم قال :

– إن أعمالي كثيرة يا سيد.. يا سيد "**راتشيت**" وأنا لا أقبل غير القضايا المهمة.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. أنا أفهم مرادك. وأقول لك بصراحة : إنك تستطيع أن تفيد من قضيتي فائدة ضخمة. هل فهمت؟ أعني أنني سأدفع لك مبلغا طائلا. فصمت "**بوارو**" ثم قال:

– ما الخدمة التي أستطيع أن أؤديها لك يا سيد "**راتشيت**" ؟

– أصغ إليّ يا سيد "**بوارو**" . أنا رجل غني.. وغني جدًّا.. ولأكثر الأغنياء– ولا أقول لجميع الأغنياء– أعداء.. وأنا لي عدو لدود.

– عدو واحد..؟! فنظر إليه "**راتشيت**" بحدة وسأله على الفور :

– ماذا تعني بهذا السؤال؟!

– لقد علمتني التجارب يا سيدي أن الرجل الذي يحتل مركزًا يثير حوله العداء يكون له في العادة أكثر من عدو واحد. وهنا تنفس "**راتشيت**" الصعداء كأنه

ارتاح إلى هذا الجواب. ثم قال بسرعة:

– هذه نظريَّة معقولة. وسواء كان لي عدو أو أعداء فإنه يهمني على كل حال أن أدافع عن سلامتي.

– سلامتك؟! ماذا تعني؟

– لقد كانت حياتي عرضة لكثير من الأخطار يا سيد "**بوارو**". ولكني أصبحت الآن في مركز يمكنني من الدفاع عن نفسي. وأخرج من جيبه مسدساً قلبه بين أصابعه. ثم أعاده إلى جيبه وأردف:

– فأنا كما ترى لست بالرجل الذي يصح أن يؤخذ على غرة.. ولكني أحب أن ألجأ إلى كل وسيلة وإلى كل إجراء يقضي بهما الحذر. لتتضاعف طمأنينتي. وأنا أعتقد أنك الرجل الذي يستطيع الدفاع عني.. وسأدفع لك أجراً.. تذكر هذا يا سيد "**بوارو**".. سأدفع لك أجراً باهظًا.. فصعده "**بوارو**" بعينيه، ولم يبد على وجهه ما يدل على أنه قد قبل الصفقة أو رفضها، وحاول "**راتشيت**" عبثا أن يقرأ الجواب في ملامحه. وأخيرا أجاب "**بوارو**":

– يؤسفني جداً يا سيدي أنني لا أستطيع قبول هذه المهمة. فنظر إليه "**راتشيت**" في حذر واحتراس ثم قال:

– اذكر بنفسك المبلغ الذي تطلبه. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– أنت لا تعرفني يا سيدي. إنني كنت حسن الحظ في عملي. وقد جمعت ثروة طائلة تقوم بحاجتي وبأكثر من حاجتي، ولذلك لا أقبل من المهام غير المهمة التي أرتاح إلى الاضطلاع بها.

– أنت رجل حاذق، شديد الحرص يا سيد "**بوارو**".. قل لي بصراحة هل تقبل عشرين ألفا من الدولارات؟

– كلا.

– أخشى إذا طمعت في المزيد ألا تجدني على استعداد لإجابة طلبك، أنا أعرف المهمة التي سأنيطك بها. وأعرف الأجر الذي يناسبها.

– أنا أعرف أيضًا يا سيد "**راتشيت**".

– هل لك اعتراض على اقتراحي؟ فنهض "**بوارو**" وهو يقول:

– إذا أفصحت عن صراحتي قلت لك إن ملامح وجهك لا تعجبني.. ولهذا لا أقبل مهمتك. ذلك كل ما في الأمر. قال ذلك وغادر مركبة الطعام.

- 4 -

صرخة في الليل

وصل قطار الشرق إلى محطة "**بلجراد**" في الساعة التاسعة من مساء اليوم الأول. وكان مقررًا أن يبقى القطار بالمحطة نصف الساعة قبل أن يواصل السفر، وقد شعر "**بوارو**" بالسأم والملالة فغادر مركبته وترك القطار وأخذ يمشي على الرصيف جيئة وذهابًا. وكان الجو عاصفًا والبرد شديدًا. فلم يطق "**بوارو**" البقاء على الرصيف طويلا وعاد أدراجه إلى مركبته، وهناك قابله موظف عربة النوم. فأنبأه بأن حقائبه نقلت إلى المركبة رقم (1) التي كان يقيم بها السيد "**بوك**". فسأله "**بوارو**":

– وأين ذهب السيد "**بوك**"؟

– إنه انتقل إلى مركبة جديدة ألحقت بالقطار. فانطلق "**بوارو**" في البحث عن صديقه "**بوك**" حتى عثر عليه في مركبته، فحاول أن يشكره لكن السيد "**بوك**" قاطعه بقوله:

– لا تنس أننا أصدقاء يا "**بوارو**" .. ثم لاحظ أنك ستسافر إلى "**كاليه**" أما أنا فسأغادر القطار قبل ذلك.

– إن البرد شديد .. أليس كذلك؟! إنني مرتاح إلى الإقامة في هذه المركبة ولا يوجد معي فيها غير طبيب يوناني.

وبعد نصف الساعة بالضبط صدرت إشارة الرحيل. فودع "**بوارو**" صديقه وقصد إلى غرفته الجديدة وكانت مجاورة لمركبة الطعام. وكانت الكلفة قد زالت تماماً. وأخذ المسافرون يتحدثون بعضهم إلى بعض كأنهم أفراد أسرة واحدة. فلما انطلق "**بوارو**" في طريقه إلى غرفته رأى الشاب "**ماكوين**" يتحدث إلى العقيد "**أريتنوت**". على أن الأول لم يكد يراه حتى كف عن الكلام فجأة ونظر إليه في دهشة وهتف به:

– ماذا حدث؟ لقد ظننت أنك تركت القطار في "**بلجراد**". فابتسم "**بوارو**" وأجاب:

– أحسبني ذكرت لك أنني أقصد إلى "**إنجلترا**".

– ولكن حقائبك!! إنها نقلت من المركبة التي كنت تقيم بها معي.

– نعم؛ لأنني انتقلت إلى مركبة أخرى.

وعاد الشاب إلى حديثه مع العقيد، فتركهما "**بوارو**" وقابل في المركبة التالية تلك السيدة الأمريكيَّة التي تكثر من الكلام عن ابنتها. والتي رآها للمرة الأولى مع "**ماري دينهام**" وسيدة أخرى متقدمة في السن حول إحدى موائد مركبة الطعام. وكان قد علم أنها تدعى السيدة "**هوبار**". وأنها تشتغل هي وزوجها وابنتها في مدرسة أمريكيَّة بـ"**إسطنبول**".

رآها تتحدث مع السيدة المتقدمة في السن. وتلح عليها في قبول إحدى المجلات لتقطع الوقت في قراءتها. وأنصت "**بوارو**" إلى حديثهما لحظة. اتفق في خلالها

أن فتح باب مجاور. وخرج منه أحد الخدم. وتمكن "**بوارو**" من أن يرى "**راتشيت**" جالسًا في تلك المركبة التي فتح بابها وخرج منها الخادم. وقد رآه "**راتشيت**" كذلك. فانقلبت سحنته في الحال. ثم أغلق الباب وراء الخادم.

وكانت السيدة "**هوبار**" قد ودعت السيدة العجوز بعد أن أرغمتها على قبول المجلة. ودخلت العجوز غرفتها. وعندئذ التفتت السيدة "**هوبار**" التي ذاعت شهرتها في القطار كامرأة ثرثارة. وقالت تحدث "**بوارو**":

– مسكينة هذه السيدة. إنها سويديَّة. لا تجيد الإنجليزيَّة. ولكنها على جانب عظيم من طيبة القلب. وقد فهمت منها أنها تشتغل بالتبشير، وتمقت قراءة المجلات الحديثة.. ولكني نجحت على كل حال في حملها على قبول إحدى المجلات التي أقرؤها. ولكن حدثني يا سيدي.. هل رأيت الرجل الذي يقيم في الغرفة المجاورة.. ذلك الذي يدعونه "**راتشيت**"؟ إن في تكوين هذا الرجل خطأ من الأخطاء فمنظره لا يطمئن. وأقول لك الحق إن وجوده في القاعة المجاورة لي يزعجني. أكبر ظني أنه قاتل، أو لص من لصوص القطارات الذين نسمع عنهم، ونقرأ في الصحف عن حوادثهم، انظر إلى هذا الشاب الوديع. وأشارت إلى "**ماكوين**". وكان يدنو منهما ومعه العقيد.. وأردفت السيدة:

– مما يدعو إلى الأسف حقًّا أن يكون هذا الشاب الوديع سكرتيرًا لهذا الوحش المقيت. واقترب "**ماكوين**" والعقيد. وكان الأول يقول للثاني:

– تعال معي إلى غرفتي.. مازلت أود أن أعرف المزيد عن سياسة "**بريطانيا**" في "**الهند**".. من المسلم به أن.. ومرا ولم يسمع "**بوارو**" بقية الحديث.. وانصرف "**بوارو**" بدوره إلى غرفته. وكانت مجاورة لغرفة "**راتشيت**" من الجانب الآخر. وهناك خلع ثيابه، وتمدد في فراشه. وأخذ يطالع بعض الصحف حتى انقضت ساعة أو بعض الساعة. ثم أطفأ المصباح واستغرق في النوم.

واستيقظ "**بوارو**" فجأة بعد بضع ساعات.. فعرف في الحال ما أيقظه.. عرف أنه استيقظ على صوت صرخة صدرت من مكان قريب، وسمع على أثر هذه الصرخة رنين جرس يدوي بشدة. فاستوى جالسًا في فراشه. وأضاء المصباح فلاحظ أن القطار قد وقف، وخيل إليه أنه وقف في إحدى المحطات. ولكنه لم يسمع شيئًا من الجلبة التي تسمع عادة في المحطات. ثم تذكر أن "**راتشيت**" يقيم في الغرفة المجاورة. ففتح باب غرفته وأطل منها ليستطلع الأمر. وعندئذ رأى موظف شركة عربات النوم وهو يهرول في المركبة. ثم شاهده يدق باب غرفة "**راتشيت**". ولكنه لم يسمع جوابًا.. دق الباب مرة أخرى. وفي هذه اللحظة. دوى الجرس. ورأى الموظف مصباحًا كهربائيًّا صغيرًا هو مصباح الجرس يضيء فوق باب الغرفة المجاورة لغرفة "**راتشيت**". فترك غرفة هذا الأخير ودق باب الغرفة التي أضاء المصباح فوق بابها. وعندئذ سمع "**بوارو**" صوتًا يقول محدثًا الموظف:

– معذرة فقد ضغطت زر الجرس خطأ.

واستلقى "**بوارو**" على فراشه بعد ذلك وقد اطمأن باله. ونظر إلى ساعته فألفاها الواحدة إلا بضعا وعشرين دقيقة. فأطفأ النور. وحاول أن ينام.

- 5 -

الجريمة

حاول عبثًا أن ينام. وأدهشه السكون الذي يحيط بالمحطة. فتساءل ترى أية محطة هذه؟ وبينما هو في أرقه إذا به يسمع وقع خطوات "**راتشيت**" في الغرفة المجاورة وهو يروح ويجيء كالأسد الحبيس. وشعر "**بوارو**" فجأة بالظمأ. وتذكر أنه

نسي أن يطلب زجاجة ماء معدني قبل أن ينام. فاستوى في فراشه. وأضاء المصباح. ومد يده ليضغط الزر. وفي هذه اللحظة دق الجرس بشدة وعنف. فرفع "بوارو" يده ليتيح لعامل مركبات النوم أن يلبي دعوة المسافر الذي دق الجرس قبله. وسمع "بوارو" وقع خطوات العامل ثم سمع ضجة وجلبة تبين فيها صوت السيدة "هوبار" تلك الأمريكيَّة الثرثارة التي لا تكف عن ذكر ابنتها في كل حديث تسهم فيه. وانتظر "بوارو" حتى هدأت الضجة فدق الجرس وأقبل العامل في الحال وفتح الباب. قال له "بوارو":

– هل لك أن تأتيني بزجاجة ماء معدني؟

– حسنًا يا سيدي.

والظاهر أنه رأى في بريق عيني "بوارو" ما طمأنه إليه وأشعره أنه سمع ما دار بينه وبين تلك الأمريكيَّة الثرثارة فراح يقول:

– أرأيت يا سيدي في حياتك امرأة كهذه الأمريكيَّة؟ فابتسم "بوارو" وسأله:

– ماذا فعلت؟!

– إنها راحت تدق الجرس بعنف حتى خيل إليّ أن حريقًا شب في غرفتها. وعندما ذهبت إليها. وجدتها في حالة اضطراب شديد. وقد قالت لي بلهجة التأكيد إن رجلا دخل غرفتها. ولما فتشت الغرفة لم أجد بها أحداً. ولما سألتها من أي باب دخل؟ أشارت إلى الباب الذي يفصل بين غرفتها والغرفة المجاورة. وهذا الباب موصد من الداخل، ويفتح من غرفتها لا من الغرفة المجاورة.. وقد بذلت جهدي حتى استطعت أخيراً أن أقنعها بأنها واهمة. إن العمل في الحق لا يطاق مع أمثال هؤلاء الناس. وفي مثل هذه الظروف فالثلوج تحيط.. فقاطعه "بوارو":

– الثلوج؟!

– نعم يا سيدي.. ألم تلاحظ أن القطار قد توقف؟ إن الجليد يحيط بنا من كل

ناحية ولا يعلم غير الله متى يتم لنا الخلاص من هذه الورطة.

– وأين نحن الآن؟

– بين "**فانكوفر**" و"**برود**".

فهز "**بوارو**" رأسه في ضجر وانصرف الموظف. وعاد بالماء المعدني بعد لحظة. ثم أغلق الباب وذهب إلى سبيله وتناول "**بوارو**" جرعة من الماء. وحاول أن ينام. وعندما أوشك أن يغلبه النعاس. سمع فجأة صوت سقوط جسم ثقيل على باب مجاور. فنهض مذعوراً وأضاء المصباح وفتح باب غرفته وأطل منه. ولكنه لم ير في رواق المركبة غير سيدة تسير ببطء وهي ملتفة بوشاح أحمر. قال لنفسه وهو يعود أدراجه إلى فراشه.

– لابد أنني أصبت بمرض عصبي.

ونام فاستغرق في النوم حتى الصباح. وعندما استيقظ كانت الساعة التاسعة فارتدى ثيابه. وخرج إلى غرفة الطعام. وهناك وجد التذمر عامًا بين جميع المسافرين. وقد أزالت هذه النكبة العامة– نكبة تعطل القطار– ما تبقى من آثار الكلفة بين المسافرين. فداروا حول بعضهم بعضًا. وراح كل منهم يتحدث عن متاعبه وأثر عطل القطار في شئونه ومصالحه. وكان صوت السيدة "**هوبار**" يحجب أصوات سائر المسافرين، وقد سمعها "**بوارو**" تندب حظها وتقول:

– لقد خدعتني ابنتي.. إنها قالت لي إنه ليس عليّ إلا أن أجلس في القطار فيذهب بي إلى "**باريس**". وها هو ذا القطار قد وقف في منتصف الطريق ومن يدري كم يومًا سنقضي هنا قبل أن يواصل القطار سفره. ثم إنني سأرحل توا إلى "**أمريكا**" وقد حجزت لنفسي مكانًا في باخرة تبحر بعد غد فكيف ألغي تذكرتي؟ يا لله إنني أكاد أن أجن! وسمع "**بوارو**" الرجل الإيطالي يقول إن لديه عملا مهما في "**ميلانو**" يستوجب وصوله في الوقت المحدد. وراحت (المبشرة)

السويديَّة تبكي وتنتحب قائلة إن أختها وأولادها ينتظرونها، وإن فزعهم سيكون عظيما إذا لم تصل في الوقت المحدد، أو إذا لم تبادر بإرسال كلمة تطمئنهم، ولكن كيف تتصل بهم؟ وسألت "**ماري دينهام**" بشيء من الضجر:

– هل يمكث القطار طويلا هنا؟

ولاحظ "**بوارو**" من صوتها وملامح وجهها أنها تشعر بمثل القلق الذي استولى عليها حين تعطل قطار "**حلب**". ومرت ساعات الصباح ببطء. وظل أكثر المسافرين بمركبة الطعام.. وبينهم "**بوارو**".. وكان هذا الأخير ينصت إلى ثرثرة السيدة "**هوبار**" حين أقبل موظف عربات النوم وهمس في أذنه قائلا:

– السيد "**بوك**" يحييك. ويرجو أن تتكرم بمقابلته.

فنهض "**بوارو**" في الحال. واعتذر للسيدة "**هوبار**" وغادر مركبة الطعام في أثر العامل. الذي ذهب به إلى إحدى مركبات الدرجة الثانية. وفتح الباب ورأى "**بوارو**" صديقه "**بوك**" جالسًا في أحد الأركان. ثم رأى شابًا واقفا يطل من إحدى النوافذ. وعندما هم "**بوارو**" بالدخول. اعترضه رجل ضخم الجثة عرف "**بوارو**" من ثيابه أنه كبير ملاحظي القطار. وأراد هذا الرجل أن يمنع "**بوارو**" من الدخول. ولكن السيد "**بوك**" هتف في الحال:

– آه! هذا صديقي العزيز.. دعه يدخل.. ادخل يا "**بوارو**".. إنني في أشد الحاجة إليك..

وهنا تنحى كبير الملاحظين عن الباب. فدخل "**بوارو**". ومر برجلين جالسين في أحد الأركان وقصد لتوه إلى حيث كان صديقه "**بوك**". وتناول مقعداً. وجلس عليه قبالة صاحبه. ولاحظ "**بوارو**" من انقلاب سحنة السيد "**بوك**" أن أمرا جللا لابد قد حدث فسأله في الحال:

– هل حدث شيء؟

– بل حدثت أشياء يا صديقي.. هبوط الثلج أولا، وعطل القطار ثانيًا. والآن.. كف عن الكلام. وسمع "**بوارو**" آهة عميقة تنبعث من صدر كبير ملاحظي القطار. فسأل "**بوارو**":

– والآن ماذا؟ فأجاب السيد "**بوك**" بلهجة تدل على اليأس:

– والآن يوجد أحد المسافرين قتيلا في غرفته. فهتف "**بوارو**":

– أحد المسافرين! أيهم؟

– رجل أمـــريكي.. يدعى.. يدعى.. يدعى "**راتشـــيت**"– نعم يدعى "**راتشيت**" أليس كذلك؟

ورفع عينيه إلى ملاحظ القطار فقال هذا:

– نعم يا سيدي يدعى "**راتشيت**". فنظر "**بوارو**" إلى الملاحظ، فرآه ممتقع الوجه، مرتجف الأوصال، فقال له:

– خير لك أن تستريح في فراشك يا هذا، أخشى عليك أن تفقد رشدك، فأطرق الرجل برأسه، ولم يجب.. فالتفت "**بوارو**" إلى "**بوك**" وقال له:

– هذا مخيف.. قتيل في القطار. فقال "**بوك**":

– نعم يا صديقي.. هذا مخيف.. قتيل في القطار. بل قتيل في إحدى عربات النوم وفي ظروف عجيبة. فالقطار معطل. وقد نقضي هنا عدة ساعات أو عدة أيام قبل أن نتمكن من الاتصال بالسلطات ذات الشأن.

لقد جرت العادة أن ترسل السلطات في البلاد التي نجتازها أحد رجال الشرطة لمرافقة القطار، أما "**يوغوسلافيا**" فإنها لا تهتم باتخاذ مثل هذا الإجراء المفيد.

– الواقع أن الظرف دقيق..

– بل ويوجد ما هو أسوأ.. آه! والتفت إلى الرجل الذي كان مطلا من النافذة وقال له:

– يا دكتور "**قسطنطين**" .. إنني نسيت أن أقدم لك صديقي "**بوارو**" . فالتفت الطبيب إلى "**بوارو**" وأحنى رأسه باحترام وفعل "**بوارو**" مثل ذلك. قال "**بوك**" :

– من رأي الدكتور "**قسطنطين**" أن القتل حدث حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. فقال الطبيب:

– من الصعب التحديد في مثل هذه الظروف.. ولكنني أستطيع أن أؤكد أن الجريمة وقعت بين منتصف الليل والساعة الثانية. فسأل "**بوارو**" :

– ومتى شوهد السيد "**راتشيت**" على قيد الحياة لآخر مرة؟

– شوهد على قيد الحياة لآخر مرة في الساعة الواحدة إلا ثلثًا؛ لأنه تكلم في هذا الوقت إلى أحد ملاحظي عربات النوم. فقال "**بوارو**" :

– هذا صحيح. إنني سمعت بنفسي هذا الحديث.. ولكن ألم يره أحد بعد ذلك؟

– نعم، لم يره أحد بعد ذلك. وقال الدكتور اليوناني:

– قد وجدنا نافذة غرفة السيد "**راتشيت**" مفتوحة على مصراعيها مما يدل على أن القاتل فر من النافذة. ولكنني أعتقد غير ذلك وأؤكد أن النافذة لم تفتح إلا بقصد التضليل. فلو كان القاتل فر من النافذة لرأينا آثار أقدامه على الجليد في الخارج بيد أننا لم نر شيئًا من ذلك. فسأله "**بوارو**" :

– ومتى اكتشفت الجريمة؟ فنظر السيد "**بوك**" إلى ملاحظ عربات النوم وقال له:

– أجب يا "**ميشيل**" . فقال الرجل وهو لايزال ممتقع الوجه:

– لقد ذهب خادم "**راتشيت**" إلى غرفة سيده في صباح اليوم ودق بابها ولكنه لم يسمع جوابا. وبعد نصف الساعة ذهب ملاحظ عربة الطعام ليسأل السيد "**راتشيت**" عما إذا كان ينوي تناول طعام الإفطار في غرفته، ودق الباب بدوره ولكنه أيضا لم يسمع جوابًا.

– كم كانت الساعة وقتذاك؟!

– كانت الساعة الحادية عشرة.

– ثم؟

– وعندئذ دعاني ملاحظ عربة الطعام. ففتحت باب الغرفة بالمفتاح الإضافي الذي معي، ودفعت الباب ولكني وجدته مغلقا بالمزلاج من الداخل. وكان الهدوء يخيم على الغرفة، فخفت أن يكون السيد "**راتشيت**" مريضًا، ودعوت بعض الموظفين وفتحنا الباب عنوة، وعندئذ رأينا ويا لهول ما رأينا!! فغمغم "**بوارو**" بلهجة المفكر:

– كان الباب مغلقًا وموصداً بالمزلاج من الداخل؟! ها.. ما رأيكم في فكرة الانتحار؟ ألا يمكن أن يكون الرجل قد مات منتحراً؟! فضحك الطبيب اليوناني متهكمًا وقال:

– هل سمعت في حياتك عن رجل انتحر بأن طعن نفسه اثنتي عشرة طعنة في مواضع مختلفة؟! فحملق "**بوارو**" إلى وجه الطبيب وقال:

– اثنتي عشرة طعنة، يا لله! هذا يدل على منتهى القوة والوحشيَّة! فقال كبير الموظفين بالقطار:

– أظن أن القاتل امرأة، فالنساء هن اللائي ينتقمن بمثل هذه الفظاعة. فنظر إليه الدكتور "**قسطنطين**" وقال:

– إذا كان القاتل امرأة. فلابد أنها في مقتبل العمر. وعلى جانب عظيم من القوة؛ لأن بعض الطعنات كانت من الشدة بحيث حطمت الضلوع، ومزقت الأعصاب والعضلات. فسأل "**بوارو**":

– ألا تعتقد أنها جريمة قتل مدبرة؟ فأجاب الطبيب:

– لا أستطيع الحكم بأن الجريمة مدبرة. ولكني أجزم بأنها (غير فنية)؛ لأن

القاتل المحترف الذي حذق فنون الإجرام لا يضرب ضربًا عشوائيًّا، ولا يطعن يمينًا وشمالا كما هو الحال في هذه الجريمة. لقد خيل إليّ عندما رأيت الجثة والجروح أن القاتل أغمض عينيه وراح يطعن حيثما اتفق. قال "**بوارو**" :

– وأنا بدوري أستطيع أن أنهي إليكم نبأ لعلكم لا تعرفونه، فقد حدثني "**راتشيت**" أمس وفهمت من حديثه أن هناك خطرا على حياته. فهتف "**بوك**" :

– هل قال لك ذلك صراحة!! إذن لابد أن يكون القاتل من أولئك الأمريكيين الجبابرة الذين يستخدمون المسدس في رائعة النهار وعلى مرأى ومسمع من جميع الناس، ولعل مما يؤيد رأيي أن بالقطار رجلا أمريكيًّا ضخم الجثة، تدل ثيابه وحركاته على أنه ليس من كرام الناس، ونظر إلى "**بوارو**" وأردف :

– تكلم يا صديقي. أنت تفهم ماذا أعني. إن ثقتي بقدرتك عظيمة، فعالج الموضوع بما عرف عنك من المهارة والحذق. كلا. لا ترفض. أنا أتحدث إليك كمدير شركة عربات النوم. ليس أيسر علينا متى جاء البوليس اليوغوسلافي من أن تقول له إن جريمة وقعت هنا وهذه تفاصيلها وهذا هو القاتل.. أما إذا تركنا الأمر كله لرجال البوليس فإننا جميعا قد نتعرض لمضايقات لا نهاية لها، وقد يعتقل البوليس بعض الأبرياء من المسافرين أو يعوقهم عن السفر على الأقل.. فلماذا لا نوفر على أنفسنا كل هذه المضايقات ونعمل بأنفسنا على إماطة اللثام عن الحقيقة ومعرفة دقائق الجريمة وأسبابها وفاعليها. إنك بالتأكيد خير من يستطيع الاضطلاع بهذه المهمة.. وأنا واثق بأنك ستفرغ منها قبل حضور البوليس.. فما قولك؟!

– ولكن على فرض أنني لم أستطع معرفة القاتل؟

– لا تقل هذا يا عزيزي، إن شهرتك طبقت الآفاق، وهي شهرة أعلم أنك نلتها عن جدارة واستحقاق، فجميع الناس في "**بلجيكا**" يعترفون لك بالقدرة، وزملاؤك معجبون ببراعتك في حل المعضلات. إن الجريمة محصورة في نطاق

ضيق.. والقاتل موجود بين المسافرين. فليس أيسر عليك من أن تستقدم المسافرين واحدا بعد واحد، وتلقي عليهم ما تشاء من الأسئلة، وسنكون كلنا رهن إشارتك. فما قولك؟ ونظر إلى صديقه مستعطفًا فقال "**بوارو**" :

– لقد كنت أفكر منذ نصف الساعة في أن وقتًا طويلا قد نقضيه في سأم وملالة قبل أن يواصل القطار سيره ولكني، أرى الآن أننا سنقضي هذا الوقت في حل مشكلة ممتعة. نعم يا صديقي أعترف لك بأن في هذه المشكلة ما يغريني على التحقيق فيها.

– ستجدنا كلنا في خدمتك وطوع أمرك.

– يجب قبل كل شيء أن أحصل على رسم تخطيطي للمركبة التي وقعت فيها الجريمة، وعلى معلومات مختصرة عن المسافرين الذين يشغلونها، كذلك أود أن ألقي نظرة على جوازات السفر والتذاكر.

– يستطيع "**ميشيل**" أن يجمع لك جوازات السفر والتذاكر. وانطلق "**ميشيل**" في الحال لأداء هذه المهمة. قال "**بوارو**" :

– هل يوجد بالقطار مسافرون آخرون؟ فأجاب السيد "**بوك**" :

– هذه المركبة لا يشغلها سواي والدكتور "**قسطنطين**" . أما المركبة التي ألحقت بالقطار في "**بوخارست**" فيشغلها شيخ أعرج يعرفه "**ميشيل**" حق المعرفة.

ثم توجد مركبة ("**إسطنبول**" – "**كاليه**") وهي المركبة التي وقعت فيها الجريمة ثم مركبة الطعام. ثم المركبات العاديَّة. والمركبات العاديَّة منفصلة تمامًا عن مركبات شركة عربات النوم ويوجد بينهما باب مغلق دائمًا، ولا أعتقد أن القاتل يستطيع الوصول من المركبات العاديَّة إلى مركبة ("**إسطنبول**" – "**كاليه**"). فسأل "**بوارو**" ببطء:

– إذن يجب أن نبحث عن القاتل في مركبة ("**إسطنبول**" – "**كاليه**"). أليس

هذا رأيك يا سيدي الطبيب؟ فقال الطبيب اليوناني:

– بلى.. هذا رأيي. فقد تعطل القطار حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. ولا أعتقد أن أحداً استطاع أن يغادر القطار بعد ذلك. فاطرق "**بوك**" برأسه وقال:

– إذن فالقاتل بيننا.

- 6 -

من القاتل؟

قال "**بوارو**":

– قبل كل شيء يجب أن أرى السيد "**ماكوين**" سكرتير القتيل. فربما استطاع أن يدلي بمعلومات ترشدنا إلى القاتل. فقال "**بوك**":

– بلا شك.. إنك تبدأ من حيث يجب. ثم التفت إلى ملاحظ عربة النوم وقال له:

– قل للسيد "**ماكوين**" أن يحضر في الحال. وفي هذه اللحظة أقبل "**ميشيل**" وبين يديه مجموعة من جوازات السفر والتذاكر فتناولها "**بوارو**" وهو يقول:

– شكراً لك. تستطيع الآن أن تذهب لعملك. وسأسمع شهادتك فيما بعد. وانصرف "**ميشيل**" وأردف "**بوارو**":

– ويهمني بعد سماع أقوال السيد "**ماكوين**" أن أزور غرفة القتيل، وكل رجائي أن يرافقني الدكتور "**قسطنطين**" في هذه الزيارة. فقال الطبيب اليوناني:

– بكل تأكيد. وهنا دخل "**ماكوين**" ونظر إلى الحاضرين وعلى وجهه علامات

الدهشة، فنهض "**بوك**" واقفًا، وقدم له مقعده وهو يقول:

– إن المكان ضيق، ولا توجد به المقاعد الكافية، فهل تتفضل بالجلوس هنا قبالة السيد "**بوارو**"؟ ثم التفت إلى أحد الخدم وقال له:

– اطلب إلى جميع المسافرين أن يغادروا مركبة الطعام. فهي على ما أعتقد أفضل مكان يستطيع فيه السيد "**بوارو**" أن يواصل عمله.

وراح "**ماكوين**" ينقل بصره بين "**بوارو**" و"**بوك**" وهو لا يكاد يفهم شيئًا.. ثم راح يقول بالفرنسيَّة السقيمة:

– ماذا حدث؟ لماذا؟ هل وقع بالقطار حادث؟ فأجابه "**بوارو**" بالإنجليزيَّة:

– نعم، وقع حادث. ويؤسفني أن أنقل إليك نبأ سيئًا. وصمت "**بوارو**" لحظة ثم أردف:

– لقد مات السيد "**راتشيت**". فصفر "**ماكوين**" بشفتيه ولمعت عيناه. ولكن لم يظهر على وجهه شيء من علامات الدهشة أو الحزن. قال ببطء:

– إذن لقد نالوه أخيراً.

– ماذا تعني يا سيد "**ماكوين**"؟ فتردد "**ماكوين**" وأردف "**بوارو**":

– إنك استنتجت في الحال أن "**راتشيت**" مات قتيلا أليس كذلك؟! وهنا فقط ظهرت على وجه "**ماكوين**" علامات الدهشة وهتف:

– ألم يمت قتيلا؟ لابد أنه قتل.. هذا ما أعتقده. أم لعلك تريد أن تقول إنه مات ميتة طبيعيَّة وهو نائم؟ إنه كان يتمتع بكامل الصحة حين رأيته للمرة الأخيرة.. لذا فإنني أستبعد فكرة الموت الطبيعي.

– إنك على حق. فالسيد "**راتشيت**" مات قتيلا.. ولكن يهمني أن أعرف لماذا غلبت عندك فكرة القتل على فكرة الموت. مع أنه ليس من الغرابة في شيء أن يموت الإنسان فجأة في الوقت الذي يتوهم فيه الناس أنه يتمتع بكامل الصحة؟

– يجب قبل كل شيء أن أعرف من أنت؟ وما شأنك؟

– إنني ممثل شركة عربات النوم.. واسمي "**بوارو**" ومهنتي بوليس سري.. فاصغ إليّ يا سيد "**ماكوين**".. إنني مكلف من قبل شركة عربات النوم بأن أمثلها في تحقيق هذه الجريمة، ولذا أرجوك أن تصارحني بجميع معلوماتك عن القتيل، والآن أخبرني هل أنت من أقرباء السيد "**راتشيت**"؟

– كلا.. كنت فقط سكرتيره.

– ومتى التحقت بخدمته؟

– منذ عام تقريبًا.

– أرجو أن تحدثني بإسهاب كيف اتصلت به؟

– إنني قابلت السيد "**راتشيت**" للمرة الأولى منذ عام. وكنت وقتئذ في "**إيران**".

– وماذا كنت تفعل في "**إيران**"؟

– كنت قد رحلت إليها من "**نيويورك**"؛ للعمل في إحدى شركات البترول، وأظن أنه لا يهمك أن تعرف تفاصيل التحاقي بخدمة الشركة المذكورة. بيد أن العمل في الشركة لم يلائمني وتصادف أني كنت أقيم في ذات الفندق الذي نزل به السيد "**راتشيت**". وفي أحد الأيام قام شجار بين "**راتشيت**" وسكرتيره الخاص. انتهى بأن طرد "**راتشيت**" سكرتيره. وعرض عليّ أن أشغل هذه الوظيفة في خدمته بمرتب لا بأس به. فقبلت بغير تردد. ومن ذلك الوقت ونحن نطوف حول العالم ونتنقل من بلد إلى آخر. وقد قال لي "**راتشيت**" إنه مولع بالسياحة.

– وماذا تعرف عن "**راتشيت**"؟

– لا أستطيع أن أزعم أنني أعرف عنه شيئًا يذكر.

– ما اسمه؟

– اسمه "**صموئيل إدوارد راتشيت**" .

– أمريكي؟

– نعم، ولا يعرف غير اللغة الإنجليزيَّة.

– من أي مكان في "**أمريكا**" ؟

– لا أعلم، والحقيقة يا سيد "**بوارو**" أنني لا أعرف عنه شيئًا يستحق الذكر؛ لأنه لم يحدثني أبدًا عن نفسه، ولا عن حياته في "**أمريكا**" . كل ما أعلمه عنه أنه كان يريد أن يطوف كل بلاد العالم، ولكن كان يقعده عن المضي في ذلك بمفرده جهله باللغات.

– وماذا كان رأيك فيه؟

– لا أعلم. ولكني أعتقد أنه كان يخجل من ماضيه كأكثر العصاميين الذين ظهروا من بين الأوحال وجمعوا ثروة كبيرة.

– هل له أقارب؟

– لم يذكر لي أبدا أن له أقارب. فنظر إليه "**بوارو**" بحدة وقال:

– ومع ذلك يجب أن يكون لك رأيك الخاص في الرجل الذي عاشرته ورافقته عامًا أو بعض العام.. فما رأيك؟

– أعتقد أن "**راتشيت**" ليس اسمه الحقيقي، وأنه ترك "**أمريكا**" نهائيًّا فرارًا من شخص أو أشخاص، وأنه كان موفقا في فراره إلى ما قبل بضعة أسابيع.

– ثم؟

– ثم بدأت ترد إليه بعض رسائل التهديد.

– هل قرأت هذه الرسائل؟!

– بالتأكيد.. فقد كانت قراءة الرسائل والرد عليها جزءًا من عملي.

– متى وردت إليه أول رسالة؟!

– منذ أسبوعين تقريبًا.

– وهل أعدمت هذه الرسائل؟

– كلا.. لازلت أحتفظ برسالتين منها والرسالة الثالثة مزقها السيد "**راتشيت**" في ثورة غضب.

– أكون شاكرًا لو تفضلت بإحضار ما عندك. فغادر "**ماكوين**" الغرفة. وعاد بعد بضع دقائق وبين يديه ورقتان صغيرتان، فتناولهما "**بوارو**" وقرأ في إحداهما هذه الكلمات:

« هل حسبت أنك تستطيع الإفلات؟ لقد أخطأت يا "**راتشيت**" فأيدينا لابد أن تصل إليك ».

وكانت الرسالة خالية من التوقيع. فوضعها "**بوارو**" جانبًا ثم قرأ الرسالة الثانية:

« سنصل إليك قريبًا يا "**راتشيت**" وسترى ». قال "**بوارو**":

– إن أسلوب الرسالتين متشابه.. بخلاف الخط. فنظر إليه "**ماكوين**" بدهشة وقال "**بوارو**" وهو يبتسم:

– ليس مثلك من يستطيع ملاحظة الفرق بين خط الرسالتين، يجب أن يكون الإنسان عليما بهذه الشئون ليتبين له هذا الفرق.

– إن اليد التي كتبت الرسالة الأولى لم تكتب الرسالة الثانية. بل أستطيع أن أؤكد أن الرسالة الثانية كتبها أكثر من شخص واحد. بمعنى أن كل شخص كان يكتب حرفًا. ويترك لثان كتابة الحرف الذي يليه. وذلك مما يزيد المسألة تعقيداً.

– ولكن هل تعلم أن السيد "**راتشيت**" جاءني في أحد الأيام يلتمس معونتي؟!

– جاءك يلتمس منك المعونة؟! ورأى "**بوارو**" على وجه الفتى من دلائل الدهشة الحقيقيَّة ما أقنعه بأنه لم يكن يعرف الحقيقة، قال:

– نعم.. إنه جاءني في أحد الأيام وأنبأني بأنه يخشى على حياته. ولك أخبرني. ماذا كان يفعل كلما جاءته رسالة تهديد من هذا النوع؟

– من الصعب أن أصف حركاته. إنه كان يقرأ الرسالة ثم يلقي بها وهو يضحك. لكني لاحظت في بعض الأحيان أنه كان يرتجف وهو يقرأ الرسالة.

فاطرق "**بوارو**" برأسه. ثم فاجأ الشاب بهذا السؤال:

– أخبرني بصراحة يا سيد "**ماكوين**". كيف كنت تنظر إلى مخدومك؟ وهل كنت تحبه؟! ففكر "**ماكوين**" مليا. ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يتكلم، ثم قال:

– كلا.. لم أكن أحبه.

– لماذا؟

– لا أستطيع أن أقول لماذا بالضبط؛ لأنه كان في الواقع دمث الخلق. وصمت ثم عاد فأردف:

– سأحدثك بصراحة يا سيد "**بوارو**".. إنني لم أكن أحبه، ولم أكن أطمئن إليه. ذلك كان شعوري الطبيعي نحوه. وإن كنت لا أستطيع أن أذكر لماذا.

– شكرًا لك يا سيد "**ماكوين**".. سؤال آخر: متى رأيت السيد "**راتشيت**" لآخر مرة.

– أمس.. حوالي الساعة .. حوالي الساعة العاشرة على ما أظن.. وكنت وقتئذ قد ذهبت إلى غرفته؛ لأسجل بعض رغباته في يومياته.

– رغباته فيما يختص بماذا؟!

– فيما يختص بأوان خزفيّة أثريّة كان قد ابتاعها في "**إيران**". ودارت حولها مراسلات طويلة.

– هل تذكر متى تسلم السيد "**راتشيت**" آخر رسائل التهديد؟

– في صباح اليوم التالي لمغادرتنا "**إسطنبول**".

– لعلك تتفضل يا سيد "**ماكوين**" فتذكر لي اسمك كاملا وعنوان بيتك في "**أمريكا**".

– اسمي "**هكتور ويلا ماكوين**" (وذكر عنوانه في "**نيويورك**").

– هذا كل ما أريده منك الآن يا سيد "**ماكوين**".

– إنما أرجوك أن تبقي أمر الجريمة سرًّا. لابد أن يكون خادمه الخاص "**ماسترمان**" قد عرف ما حدث.

– ربما.. وإذا كان قد عرف فأرجو أن تأمره بأن يلزم جانب الصمت والكتمان.

– هذا هين. فالرجل إنجليزي كتوم.

– شكرًا لك.. وعندما غادر الشاب المركبة. التفت "**بوك**" إلى "**بوارو**" وسأله:

– ما رأيك؟! هل تعتقد أنه قال الصدق؟!

– أعتقد ذلك. فكل حركاته تدل على الأمانة والاستقامة. فهو مثلا لم يزعم أنه يحب القتيل.. كما كان لابد أن يزعم لو أن له ضلعًا في الجريمة.. وأعتقد فضلا عن ذلك أن السيد "**راتشيت**" كان رجلا كتومًا يعرف كيف يحتفظ بأسراره لنفسه.

– إذن تستطيع أن تقول عن هذا الفتى إنه بريء. أو بمعنى آخر تستطيع أن تقول إن بيننا واحداً على الأقل بريئًا من دم السيد "**راتشيت**". فنظر إليه "**بوارو**" طويلا ثم قال:

– إذا أردت رأيي. فاعلم أنني أرتاب في كل إنسان حتى آخر لحظة.. ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أتصور كيف يفقد هذا الفتى الوديع رشده.. ويطعن سيده اثنتي عشرة أو أربع عشرة طعنة. فهذا العمل لا يصدر عن شاب مثله. تدل الدلائل كلها على أنه حسن النيَّة صريح. ثم استطرد قائلا:

– كلا.. إن مثل هذه الجريمة لا يقدم عليها غير رجل أعماه الغل والحقد. ولست أعرف من الناس من يندفع وراء عاطفته فيمثل بعدوه هذا التمثيل البشع غير شخص من أصل لاتيني.. أو كما يقول "**ميشيل**" امرأة أولاها الحقد قوة الجبابرة.

- 7 -

الجثة

تبع "**بوارو**" الدكتور "**قسطنطين**" إلى المركبة التي وقعت فيها الجريمة. وفتح ملاحظ المركبة بابها بمفتاح معه. وأفسح لهما السبيل فدخلا. والتفت "**بوارو**" إلى الطبيب وسأله:

– هل مسستم شيئًا في الغرفة؟

– كلا.. وقد حرصت– فضلا عن ذلك– على إبقاء الجثة في موضعها عندما دعيت لفحصها.

فأطرق "**بوارو**" رأسه. وأجال الطرف حوله. كان أول ما شعر به شدة البرد. فاتجه بصره إلى النافذة. ووجد أنها مفتوحة على مصراعيها. ففحصها عن كثب وهو يقول:

– لقد أحسنت بإبقاء كل شيء على حاله. ثم إنك كنت على حق حين قلت إن القاتل لم يخرج من هذه النافذة. وأكبر الظن أنها فتحت خصيصا للتضليل.. ولكن الثلج أفسد حيلة القاتل.

ونظر إلى جوانب النافذة بحدة، وأخرج من جيبه علبة بها مسحوق أبيض

وألقى، بعضًا منه على إطار النافذة ثم قال:

– لا يوجد أي أثر لبصمات الأصابع.. ومعنى هذا أن القاتل فتح النافذة ثم أزال آثار أصابعه، بيد أن وجود البصمات لم يكن ليرشدنا في مهمتنا. إذ قد يتضح آخر الأمر أنها بصمات أصابع "**راتشيت**". أو بعض الخدم أضف إلى ذلك أن المجرمين العصريين على جانب عظيم من الحرص. وقل أن يوجد بينهم الآن من يترك بصمات أصابعه. ثم أردف بعد لحظة:

– ومتى تقرر هذا، فأرى أنه من الأفضل غلق النافذة فالبرد لا يحتمل.. وقرن القول بالفعل.. ثم حول بصره إلى الجثة ونظر إليها لأول مرة. كان "**راتشيت**" ملقيا على ظهره. وقد تلوثت بيجامته ببقع كبيرة من الدم. قال الطبيب:

– كان لابد أن أعرف طبيعة الجروح ولذا فتحت أزرار بيجامته كما ترى. فاطرق "**بوارو**" برأسه. وفكر وانحنى فوق الجثة ثم قال:

– إنها جريمة بشعة. ولابد أن القاتل وقف في هذا المكان وراح يطعنه المرة تلو الأخرى. كم عدد الطعنات؟

– اثنتا عشرة طعنة.. بينهما ثلاثة على الأقل كانت كل منها كافية للقضاء عليه ولكن..

– ماذا؟! فقال الطبيب في شيء من الحيرة:

– انظر إلى هذين الجرحين: وأشار بأصبعه إلى موضع الجرحين ثم أردف:

– إنهما عميقان.. ولابد أن كلا منهما قد مزق عددا ليس بالقليل من الشرايين، ومع ذلك فلست أرى على جوانبهما شيئًا من الدم.

– وهذا معناه.

– وهذا معناه أن الرجل طعن بعد أن مات. وصمت الطبيب برهة ثم عاد فأردف:

– وهذا أيضًا غريب.

– عن أي شيء تتكلم؟!

– عن هذا الجرح تحت الساعد الأيمن على مقربة من الكتف اليمنى، تناول قلمي هذا. وافترض أنه خنجر.. وجرب إذا كنت تستطيع أن تحدث به مثل هذا الجرح. وتناول "بوارو" القلم ورفعه في قبضته وتخيل الطعنة التي تحدث مثل ذلك الجرح ثم قال:

– هذا صحيح إن من الصعب جدا إحداث مثل هذا الجرح.. بل إن من المستحيل إحداثه باليد اليمنى ما لم يدفع الإنسان الخنجر بيده من الأمام إلى الخلف لا من الخلف إلى الأمام كما هي العادة عند ارتكاب مثل هذه الجرائم.

وإذن من المؤكد أن القاتل قد استعمل اليد اليسرى عندما طعن الطعنة التي أحدثت هذا الجرح. فقال الطبيب في شيء من الحيرة:

– هل تريد أن تقول إن القاتل أعسر يستعمل يده اليسرى دون اليمنى؟!

– إن من الصعب إثبات ذلك. ثم سأل فجأة:

– هل كان المصباح الكهربائي مضاء عندما دخلت هذه الغرفة بعد ارتكاب الجريمة؟!

– كلا.. ولكن ليس من السهل معرفة الحقيقة؛ لأن الخدم يطفئون جميع المصابيح من الخارج في صباح كل يوم. فقال "بوارو":

– نستطيع أن نتحقق من هذه النقطة. وشرع في فحص الأزرار الكهربائيَّة.

وكان بالغرفة زران.. أحدهما بجانب الفراش، والآخر بجوار الباب.. وقد وجد "بوارو" أن أحد الزرين فقط في حالة تسمح بإضاءة الغرفة لو لم يكن الخدم قد قطعوا التيار الكهربائي من الخارج كما اعتادوا أن يفعلوا في صباح كل يوم. قال:

– إذا كنا قد اتفقنا على أن الجريمة ارتكبها شخصان.. فإنني أستطيع أن أحدد ما فعله كل منهما. لقد دخل القاتل الأول الغرفة. وطعن "**راتشيت**".. ثم أطفأ النور الكهربائي وانصرف. وجاء بعد ذلك القاتل الثاني. فوجد الغرفة مظلمة. فتلمس طريقه فيها. حتى وقع على "**راتشيت**" وهو ميت فطعنه طعنتين على الأقل أحدثتا هذين الجرحين غير الداميين. فما قولك في هذا التفسير؟

– معقول.. معقول جداً..

– هل تقر هذه النظريَّة؟!

– بل أؤكد أنها صحيحة من كل الوجوه؛ لأنها توضح جميع الظواهر الغامضة التي وقعت عليها عند فحص الجثة.

– أليس لك رأي آخر. أتعتقد مثلي أن شخصين أرادا الفتك بـ"**راتشيت**" فسبق أحدهما الآخر؟

– نعم أعتقد ذلك خصوصاً أن بعض الطعنات تدل على أن اليد التي طعنتها هي يد شخص ضعيف البنية، متردد غير واثق بنفسه. أما اليد التي أحدثت هاتين الطعنتين على الأقل (وأشار بأصبعه إلى إصابتين بالغتين). فإنها يد قويَّة؛ لأن الطعنة مزقت العضلات.

– وهل تظن أن هذه اليد القويَّة هي يد رجل؟

– أظن ذلك.

– ألا يحتمل أن تكون يد امرأة؟

– تستطيع المرأة إذا كانت في مقتبل العمر، وقويَّة البنية، وواقعة تحت تأثير انفعال شديد أن تطعن مثل هاتين الطعنتين. ولكنني أميل إلى الاعتقاد بأن أحد القاتلين على الأقل كان رجلا. فضحك "**بوارو**" في تهكم وقال:

– المسألة أصبحت غاية في البساطة.. فالقاتل. إما رجل ضعيف، أو امرأة قويَّة،

أو الاثنان معًا. ثم قطب حاجبيه وقال:

– ولكن القتيل؟ ألم يفعل شيئا؟ ألم يدافع عن نفسه؟ ألم يستغث؟

ودس يده تحت وسادة "**راتشيت**" وتناول المسدس الذي كان قد رآه في يد هذا الأخير عندما عرض عليه أن يتولى حمايته. فحص المسدس وقال على الفور:

– إنه محشو، فالقتيل لم يستخدمه.

وشرع الاثنان يجيلان النظر حولهما. فرأيا ثياب "**راتشيت**" موضوعة على أحد المقاعد، وعلى مقربة منها طاولة صغيرة عليها مواد تافهة. رأى "**بوارو**" على هذه الطاولة كأسا بها أسنان اصطناعيَّة. وبجانبها كأس أخرى فارغة. وزجاجة مياه معدنيَّة.. وصحفة صغيرة بها قطعة ورق محترقة، ووقع بصره في الصحفة كذلك على عودي ثقاب مستعملين. تناول الطبيب الكأس الفارغة. وقربها من أنفه ثم قال:

– فهمت الآن لماذا لم يدافع القتيل عن نفسه.

– لماذا؟! هل وضع له مخدر في الكأس؟!

– نعم. فأطرق "**بوارو**" برأسه ثم تناول عودي الثقاب وراح يفحصهما عن كثب. قال له الطبيب بحدة:

– هل وقعت على دليل جديد؟!

– هذان العودان يختلف كل منهما عن الآخر. فأحدهما مسطح.. والثاني مستدير. تأمل.

– هذا حقيقي.. ولكنهما من النوع الوحيد الذي يجده المسافرون في القطارات عادة..

فجعل "**بوارو**" يفتش جيوب "**راتشيت**" حتى عثر على علبة ثقاب فأخذ منها عودا وقارن بينه وبين العودين. ثم قال:

– هذا العود المستدير من علبة السيد "**راتشيت**"..

والآن لنبحث في جيوبه عما إذا كانت لديه علبة أخرى بها أعواد مسطحة. وبحث ولكنه لم يجد شيئا.. فهز رأسه ودار بعينيه في أنحاء الغرفة.. ورآه الطبيب ينحني فجأة.. ويلتقط شيئًا.. كان ذلك الشيء منديلا صغيرا أنيقا قد طرز على أحد جوانبه الحرف (هـ) هتف الطبيب:

– هذا منديل سيدة.. لقد كان "**ميشيل**" على حق حين قال إن للمرأة أصبعا في الجريمة. فقال "**بوارو**":

– من المدهش أن تترك هذه المرأة دليلا ساطعًا كهذا المنديل.. الأمر الذي لا يحدث عادة إلا في القصص الخياليَّة، أو الأفلام السينمائيَّة.. وأبدع ما في الموضوع أن الحرف الأول من الاسم أو اللقب مطرز على أحد أركان المنديل. وانحنى مرة أخرى. وتناول شيئًا فاشرأب الطبيب بعنقه ورأى في راحة "**بوارو**" (فرشاة) صغيرة كالتي تستعمل في تنظيف الغليون. قال:

– ربما كانت فرشاة "**راتشيت**" نفسه.

– لا أظن ذلك؛ لأنني لم أعثر في جيوبه على غليون أو تبغ.

– وإذن هذا أثر جديد.

– بغير شك.. ليس لي أن أشكو قلة الآثار والأدلة في هذه القضيَّة. ولكن بهذه المناسبة، ماذا فعلت بالسكين أو الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة؟

– إنني لم أجد أثرًا لأي سلاح قاطع. وأكبر الظن أن القاتل حمل سلاحه معه.

وشرع الطبيب في معاونة الشرطي في البحث. فدس يده في جيب بيجامة القتيل.. وأخرج ساعة ذهبيَّة.. نظر إليها وتهلل وجهه وصاح:

– انظر، لقد تعطلت الساعة على أثر طعنة أصابتها.. وها هي العقارب تدل

على أن الجريمة ارتكبت في الساعة الواحدة والربع صباحًا.. فقال "**بوارو**" بقلة اكتراث:

– هذا جائز. وكان ينظر بحدة إلى الصحفة التي وجد بها عودي الثقاب. كانت توجد إلى جانب هذين العودين قصاصة ورق صغيرة محترقة. غمغم:

– إنني في حياتي العمليَّة لم أعلق أبداً أية أهميَّة على رماد لفافات التبغ، وبصمات الأصابع. وغير ذلك من الأشياء التي تحتل المكانة الأولى من اهتمام المحققين العصريين الذين يستعينون بالنظريات العلميَّة، والتصوير الفوتوغرافي، والتحليل الكيميائي لإماطة اللثام عن الجرائم الغامضة. ولكني أتمنى الآن لو أجد أية معونة (علميَّة) في تحقيق هذه الجريمة. انظر.. إن هذا المكان مليء بالآثار والأدلة.. ولكن من يؤكد لي أنها آثار حقيقيَّة.. وليست مفتعلة؟!

سأضرب لك مثلا.. إننا وجدنا هنا منديل امرأة. ولكن هل تركت إحدى النساء هذا المنديل حقيقة؟! أو أن رجلا ارتكب الجريمة وقال لنفسه: «سأموه على المحققين وأجعلهم يرتابون في أن القاتل امرأة فأطعن فريستي بضع طعنات. ثم أترك هذا المنديل هنا». فنظر إليه الطبيب في دهشة وقال:

– لا أستطيع أن أفهمك يا سيد "**بوارو**".

– ويحتمل كذلك أن يكون القاتل امرأة، وأن تكون هذه المرأة قد حدثت نفسها بمثل ما حدث به الرجل الآنف الذكر نفسه. فأطعن فريستي بضع طعنات، وأن تكون قد تركت (فرشاة) الغليون بقصد التمويه والتضليل.

ثم يحتمل غير هذا وذاك أن يكون شخصان– أحدهما رجل والآخر امرأة– قد اشتركا في الجريمة.. وأغفل كل منهما وراءه هذا الأثر..

– وماذا فهمت من وجود عودي الثقاب؟!

– آه! يحتمل أن تكون جميع الأدلة التي وجدناها هنا زائفة أو مصطنعة، أما

دليل هذين العودين فأرجح أنه أصدق وأهم الأدلة جميعًا.. فأنا أعتقد أن "**راتشيت**" لم يستخدم هذا العود المسطح.. وأن الذي استخدمه هو قاتل "**راتشيت**". واستخدمه لإحراق قصاصة ورق ربما كانت تتضمن معلومات ترشد إليه.. وبقايا هذه القصاصة المحترقة موجودة بين أيدينا.. في هذه الصحفة التي وجدنا بها عودي الثقاب. وسأحاول أن أعرف أية كلمات كانت تتضمن هذه القصاصة.

قال ذلك. وغادر المكان وغاب بضع دقائق. ثم عاد حاملا لوحة لامعة من المعدن وعدة أسلاك. وموقدا صغيرا يضاء بالكحول. وراح الطبيب يرقبه باهتمام فرآه يستعين بالأسلاك الصغيرة لنقل قصاصة الورق المحترقة إلى اللوحة المعدنيَّة، ثم رآه يشعل الموقد ويضع فوقه تلك اللوحة. وأخذت القصاصة المحترقة تتحرك ببطء فوق اللوحة المعدنيَّة. إلى أن توهجت اللوحة وتوهجت معها القصاصة. وعندئذ قرأ الرجلان في القصاصة الكلمات التالية التي برزت واضحة جليَّة كأنها كتبت بحروف من نار: « "**ديزي أرمستورنج**" الصغيرة».

هتف "**بوارو**" بحدة:

– آه! . سأله الطبيب:

– هل فهمت شيئًا؟ فلمعت عينا "**بوارو**" وأجاب:

– نعم.. عرفت الآن من القتيل وما اسمه الحقيقي. ولماذا هرب من "**أمريكا**".

– ما اسمه؟

– "**كاسيتي**". فقطب الطبيب حاجبيه. وقال:

– "**كاسيتي**"! إنني قرأت شيئًا عن صاحب هذا الاسم.. منذ عدة أعوام ولكني لا أذكر في أية مناسبة.. ويحتمل أن يكون قد ورد في قضيَّة مشهورة.. في "**أمريكا**".. أليس كذلك؟ فأجاب "**بوارو**":

– هو ما تقول. ولكنه لم يزد. وظل يبحث في جوانب المكان ثم قال:

– سوف نتكلم في هذا.. أما الآن فيجب أن نتأكد من أننا لم ننس شيئًا. وراح يفتش جيوب القتيل مرة أخرى. ولكنه لم يجد شيئًا. ثم قصد إلى الباب الذي يصل بين غرفة القتيل والغرفة المجاورة، فوجده موصداً من الجانب الآخر. قال الدكتور "**قسطنطين**":

– يوجد شيء لا أستطيع أن أفهمه.. وهو أنه إذا كان القاتل لم يفر من النافذة، وإذا كان الباب المتوسط مغلقا من الجانب الآخر، وباب الغرفة الموصل إلى دهليز العربة موصدا بالمزلاج من الداخل، فكيف استطاع القاتل أن يغادر الغرفة؟! فقال "**بوارو**":

– هذا عين السؤال الذي يتردد في أفواه النظارة حين يشهدون مشعوذاً يوضع في صندوق ويلقى به في اليم. ثم يرونه يخرج من الماء والصندوق لايزال مغلقًا كما كان.

– لا أفهم ماذا تريد أن تقول؟

– أريد أن أقول إن القاتل إذا كان قد قصد أن يوهمنا بأنه فر من النافذة، فلابد أن يكون قد تأكد سلفًا من أن المنفذين الآخرين– وأعني الباب المتوسط، والباب الخارجي– في حالة تدعو إلى الثقة بأنه لم يخرج من أحدهما.. فهو كالمشعوذ الذي يهمه– قبل كل شيء –أن يوهم النظارة بأن الصندوق غير قابل للفتح. ومهمتنا نحن في هذه الحالة أن نكشف حيلة القاتل. ثم أوصد الباب المتوسط بالمزلاج وهو يقول:

– تشغل الغرفة المجاورة سيدة ثرثارة تدعى السيدة "**هوبار**". وأخشى متى اتصل بها نبأ الجريمة أن تفتح هذا الباب من ناحيتها لتعرف المزيد من أمر الجريمة.

والآن أعتقد أنه لم يبق لنا ما نفعله هنا. فهلم بنا إلى غرفة السيد "**بوك**".

- 8 -

قضيَّة "أرمسترونغ"

كان "**بوك**" قد فرغ لتوه من تناول طعام الإفطار، فقال محدثًا "**بوارو**" وعلى شفتيه ابتسامة:

– قد فكرت في أن نتناول إفطارنا هنا قبل إخلاء قاعة الطعام، فتباشر فيها التحقيق وسماع الشهود وقد طلبت لكما طعامًا. فأجاب "**بوارو**":

– إنك أحسنت صنعا.

ولم يكن الرجلان يشعران بقابليَّة إلى الطعام، فأكلا قليلا وعندما جيء بأقداح القهوة، عاد السيد "**بوك**" إلى الموضوع الذي يشغل باله أكثر من أي موضوع آخر، فسأل "**بوارو**":

– هل وفقت في مهمتك؟

– لقد عرفت شخصيَّة القتيل. وعرفت لماذا اضطر إلى مغادرة "**أمريكا**".

– من هو؟

– هل تذكر أنك قرأت شيئًا عن طفلة تدعى "**ديزي أرمسترونغ**".. خطفت من أهلها وقتلت؟ إن القتيل هو "**كاسيتي**" الذي قتل هذه الطفلة.

– نعم. نعم. أذكر أن قضيَّة من هذا النوع هزت "**أمريكا**" من أقصاها إلى أقصاها، ولكني لا أذكر التفاصيل بالضبط.

– إذن فأصغ إليّ: كان يعيش في "**أمريكا**" رجل يدعى العقيد "**أرمسترونغ**"

ينحـدر من والد إنجليـزي، ووالدة أمـريكيَّـة هي ابنة "**فـاندرهولت**" المليـونيـر الأمريكي المشهور، وقد اقترن العقيد بابنة "**ليزا آردن**" الممثلة الأمريكيَّة الذائعة الصيت. وعاش مع زوجته في "**أمريكا**". ورزقا بطفلة كانت موضع حبهما ورعايتهما، وعندما بلغت هذه الطفلة- واسمها "**ديزي**" – الثالثة من عمرها. خطفت بطريقة غامضة. وطلب المختطفون مبلغًا ضخمًا على سبيل الفدية ولا أسهب في ذكر التفاصيل.. فقط أقول إن العقيد دفع الفدية وقدرها 200 ألف دولار، وكان يرجو أن ترد إليه ابنته العزيزة. ولكن المختطفين لم يردوا الطفلة، وعثر البوليس على جثتها في حالة تدل على أنها قتلت قبل دفع الفدية بأسبوعين على الأقل. ولم تنته المأساة عند ذلك فقد كانت زوجة العقيد حاملا. ويبدو أن الصدمة أثرت في صحتها فولدت طفلة ميتة. وماتت هي الأخرى على الأثر، فحزن العقيد حزنًا شديداً وأطلق على نفسه الرصاص فمات منتحراً، وقبض البوليس على مربيَّة الطفلة. وهي فتاة فرنسيَّة أو سويسريَّة لا أذكر تمامًا؛ لأن المحققين ارتابوا في أنها اشتركت في تدبير حادث الاختطاف. ولكن المربية أنكرت أن لها أية صلة بالمجرمين، ولم يقتنع المحققون بإنكارها وألقوا بها في السجن، حيث عوملت معاملة أثرت على أعصابها. فانتهزت إحدى الفرص وألقت بنفسها من نافذة غرفة المحقق وماتت في الحال. وقد ثبت فيما بعد أنها كانت بريئة من تهمة الاشتراك في الجريمة.. وبعد ستة أشهر ألقي القبض على "**كاسيتي**". إذ ثبت أنه رئيس العصابة التي اختطفت "**ديزي أرمسترونغ**" وفتكت بها. كما سبق لها أن اختطفت غيرها من أولاد الأغنياء، طمعًا في الفديَّة. ولم يكن ثمة شك في أن "**كاسيتي**" كان مسؤولا شخصيا عن هذه الجريمة المروعة التي ترتبت عليها الفواجع التي ذكرتها. بيد أن الرجل كان يملك ثروة طائلة وكانت له صلات بكثيرين من ذوي النفوذ. بل ويقال إنه كان يعرف أسراراً خطيرة تمس القائمين في

الحكم. وكانت نتيجة هذا كله، أن ذوي الشأن ساعدوه على الإفلات من القصاص. ولو لم يكن "**كاسيتي**" رجلا بعيد النظر لقتله الجمهور بعد إطلاق سراحه، ولكنه عجل بالفرار من "**الولايات المتحدة الأمريكيَّة**" وساعدته السلطات فانتحل شخصيَّة جديدة. وأسمى نفسه "**راتشيت**".. وراح يقضي حياته متنقلا في أنحاء العالم. معتمداً على ريع أمواله الطائلة التي جمعها من جرائمه الكثيرة. وصمت "**بوارو**" فهتف "**بوك**":

– يا له من حيوان! إنني غير آسف لموته ولكن كان يهمني فقط ألا يقتل في قطار الشرق وفي إحدى عربات النوم.. فالعالم فسيح.. ولكم كان يسرني لو أنه لقي مصرعه في مكان آخر. فابتسم "**بوارو**" وأردف:

– والمسالة الآن هي هل قتل "**كاسيتي**" بيد عصابة أمريكيَّة أخرى تنقم عليه أنه قاومها أو أفسد بعض مساعيها، أو قتل بيد واحد من أسرة "**أرمسترونج**" انتقاما للطفلة المسكينة وذويها؟ ثم حدث السيد "**بوك**" باختصار عن قصاصة الورق المحترقة ومضمونها واستطرد:

– أنا أعتقد أن هذه القصاصة أحرقت بيد القاتل.. لماذا؟ لأنها تضمنت اسم "**أرمسترونج**"، وهذا الاسم يكفي في ذاته لإماطة اللثام عن أهم أسرار الجريمة.

– ألا يزال بعض أفراد أسرة "**أرمسترونج**" على قيد الحياة؟

– هذا ما لا أعرفه لسوء الحظ. ولكني أظن أنني قرأت في أحد الأيام عن شقيقة لزوجة العقيد "**أرمسترونج**".



القسم الثاني : الأدلة

- 1 -

متى وقعت الجريمة؟

أخليت مركبة الطعام. وأعدت بها طاولة لجلوس "**بوارو**" والسيد "**بوك**" والطبيب، وشرع "**بوارو**" في تحقيق الجريمة فقال محدثًا "**بوك**" :

– في اعتقادي أننا يجب أن نبدأ بسؤال "**ميشيل**" ملاحظ مركبة النوم؛ فهو آخر من رأى "**راتشيت**" على قيد الحياة.. فهل تثق بهذا الرجل يا سيد "**بوك**"؟! لابد أنك تعرف شيئًا عنه.

– نعم.. إنه رجل موثوق به وقد قضى في خدمة الشركة خمسة عشر عامًا. وهو فرنسي الجنسيَّة، محترم، وأمين ولكنه ليس معروفًا بالفطنة والذكاء. وأقبل "**بيير ميشيل**" وكان قد ملك نفسه واستعاد رباطة جأشه. أجاب عن أسئلة "**بوارو**" فذكر اسمه، وعنوانه، والمدة التي قضاها في خدمة قطار الشرق. وقال "**بوارو**" :

– لنتحدث الآن عن جريمة الأمس. فهل تذكر متى عاد "**راتشيت**" إلى غرفته؟

– إنه عاد إلى غرفته عقب طعام العشاء مباشرة.. أعني قبل أن يغادر القطار محطة "**بلجراد**"..

– هل اجتمع به أحد في غرفته بعد أن أوى إليها؟

– نعم، اجتمع به خادمه، وسكرتيره الخاص.

– فقط.

– هذا ما أعتقده.

– ومتى رأيته لآخر مرة؟

– كل ما أعلمه أنه قرع الجرس في الساعة الواحدة والدقيقة العشرين، فذهبت إلى غرفته وقرعت بابها، غير أنه أجابني بأنه ليس بحاجة إليّ وأنه قرع الجرس خطأ.

– هل قال لك ذلك بالإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة؟

– بالفرنسيَّة..

– ماذا قال حرفيا؟

– قال (لا شيء.. إنني أخطأت)..

– صدقت. إنني سمعته بنفسي يقول ذلك.. وهل انصرفت بعدئذ؟

– نعم يا سيدي..

– لي سؤال آخر يا "**ميشيل**".. ولكنه على جانب عظيم من الأهميَّة. أين كنت قبيل الساعة الواحدة بعد منتصف الليل؟

– كنت جالسًا على المقعد الخاص في نهاية رواق المركبة.

– هل أنت واثق؟

– نعم.. وقد انتقلت فقط في الساعة الواحدة أو بعدها بدقائق إلى المركبة التالية المعروفة بمركبة "**أثينا**"، لكي أتحدث مع أحد زملائي. وقد دار الحديث بيننا حول كثرة الجليد.

– ومتى عدت إلى مركبتك؟

– عندما سمعت جرسًا يدق.

– ومن الذي دق الجرس؟!

– السيدة الأمريكيَّة الثرثارة، وبعد ذلك قرعت أنت الجرس. فذهبت إلى

غرفتك. وحدثتك عن السيدة الأمريكيَّة، وجئتك بمياه معدنيَّة. ثم انطلقت لإعداد فراش شاب أمريكي هو السيد "**ماكوين**" سكرتير "**راتشيت**".

– وهل كان "**ماكوين**" وحده عندما ذهبت لإعداد فراشه؟

– بل كان معه العقيد الإنجليزي الذي يقيم بالغرفة رقم 15 وكان الاثنان يتحدثان.

– وماذا فعل العقيد بعد أن غادر غرفة "**ماكوين**"؟

– ذهب إلى غرفته.

– رقم 15؟ الغرفة المجاورة لمقعدك في نهاية الرواق.. أليس كذلك؟

– بلى.

– وكنت قد أعددت فراشه بالتأكيد..

– نعم.. أعددت فراشه حين كان يتناول طعام العشاء.

– كم كانت الساعة وقتئذ؟

– لا أذكر بالضبط.. ولكن الساعة لم تكن تتجاوز الثانية بعد منتصف الليل على كل حال..

– ألم تذهب مرة أخرى إلى مركبة "**أثينا**"؟

– نعم، لم أذهب يا سيدي.

– ألم يستول عليك النوم؟

– نعم، لم يستول عليّ النوم يا سيدي. فقد كان القطار معطلا وأنا في مثل هذه الحالة لا أنام.

– أرأيت أحد المسافرين يسير في رواق المركبة؟ ففكر لحظة ثم قال:

– رأيت إحدى السيدات تتجه إلى دورة المياه.

– ومن هذه السيدة؟

– لا أعلم يا سيدي. فقد رأيتها وهي في نهاية الرواق. ولم يقع نظري على وجهها. ولكن أذكر أنها كانت ترتدي وشاحا أحمر اللون قد طرز عليه شكل (تنين). فأطرق "**بوارو**" برأسه. وفكر لحظة ثم سأل:

– وبعدئذ؟!

– لا شيء يا سيدي. فقد ساد الهدوء حتى الصباح.

– هل أنت واثق؟

– كل ما حدث بعد ذلك أنك بنفسك فتحت غرفتك، ووقفت ببابها لحظة.

– الحق معك يا صديقي.. لقد كنت أخشى ألا أتذكر هذه التفصيلات الدقيقة.. وبهذه المناسبة أقول إنني استيقظت في ذلك الوقت على صوت سقوط شيء ثقيل على باب غرفتي.. فهل لديك فكرة عن هذا الشيء؟! فحملق الرجل إلى وجهه. وقال:

– كلا يا سيدي. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– ربما كنت واقعًا تحت تأثير كابوس. فقال السيد "**بوك**":

– أو ربما سقط ذلك الشيء على باب الغرفة المجاورة. فتظاهر "**بوارو**" بعدم الاكتراث لهذه الفكرة وقال:

– لنترك هذه المسألة ولنفترض أن القاتل ركب القطار في الليلة الماضيَّة. فهل من المؤكد أنه لم يكن بوسعه مغادرة القطار بعد ارتكاب الجريمة؟

– كلا، لم يكن ذلك بوسعه.

– وهل لم يكن بوسعه كذلك أن يختفي في مكان ما بالقطار؟! فقال السيد "**بوك**":

– دع هذه الفكرة يا صديقي؛ لأننا فتشنا القطار جيداً. وقال "**ميشيل**":

– وفضلا عن ذلك فإنه لا يمكن لإنسان أن ينفذ إلى عربة النوم دون أن نراه.

– وما آخر محطة وقف بها القطار؟!

– محطة "**فنكوفكي**"..

– وكم كانت الساعة؟

– كان يجب أن يغادر القطار هذه المحطة في الساعة 11 والدقيقة 58، ولكننا تأخرنا دقيقتين نظراً لرداءة الجو.

– ألا يحتمل أن يكون أحد المسافرين العاديين قد استطاع أن ينفذ إلى مركبات النوم؟

– كلا يا سيدي. فقد جرت العادة أن نغلق الباب الموصل بين مركبات النوم والمركبات العاديَّة بمجرد الفراغ من تناول طعام العشاء.

– هل غادرت القطار في محطة "**فنكوفكي**"؟

– نعم يا سيدي غادرت القطار ووقفت بإفريز المحطة كالمعتاد إلى أن تحرك القطار. وقد فعل موظفو القطار الآخرون مثل ذلك.

– وماذا تعلم عن الباب القريب من مركبة الطعام؟

– إنه مغلق دائماً من الداخل.

– ولكنه ليس مغلقًا الآن. فظهرت على وجه الرجل علامات الدهشة. ثم أبرقت أساريره فجأة وأجاب:

– لاشك في أن أحد المسافرين فتحه ليلقي نظرة على الثلوج في الخارج.

– قلت لي إن جرسًا آخر دق في ذلك الوقت الذي كنت تقرع فيه باب غرفة "**راتشيت**".. والواقع أيضاً أنني سمعت ذلك الجرس. فمن الذي قرعه؟!

– الأميرة "**دراجوميروف**". وكانت تريد أن أدعو لها وصيفتها.

– وهل دعوت وصيفتها؟

– نعم يا سيدي.. فألقى "**بوارو**" نظرة سريعة على الرسم الذي أمامه. والذي يبين أقسام عربة النوم ثم قال:

– هذا كل ما أريده منك الآن.

– شكرًا لك يا سيدي.

- 2 -

شهادة "ماكوين"

استغرق "**بوارو**" في التفكير دقيقة أو دقيقتين، ثم قال:

– أرى من الأفضل سماع السيد "**ماكوين**" مرة أخرى. وإعادة التحقيق معه على ضوء ما لدينا من المعلومات.

وجيء في الحال بالسيد "**ماكوين**" سكرتير "**راتشيت**". ففاجأه "**بوارو**" بقوله:

– قد عرفت حقيقة السيد "**راتشيت**".

– أصحيح ما تذكر؟ وظهرت على وجه الفتى علامات الاهتمام.

– نعم! عرفت ما كنت تتوقعه أنت من أن "**راتشيت**" هو اسم مستعار للرجل الذي كنت في خدمته. أما اسمه الأصلي فهو "**كاسيتي**" وهو الرجل الذي ارتكب طائفة من حوادث خطف الأطفال ولعب دورًا كبيرًا في اختطاف "**ديزي أرمسترونغ**". فدهش "**ماكوين**"، ثم تجهم وجهه وهتف قائلا:

– ويل للنذل!

– أعتقد أنك كنت خالي الذهن من هذه الحقيقة.

– بالتأكيد.. بالتأكيد.. ولو كنت أعلم لما التحقت بخدمته مهما كان الأجر.

– ولماذا كل هذه الحماسة ضده يا سيد "**ماكوين**"؟

– يجب أن تعلم أولا أن أبي هو الذي قام بتحقيق حادث اختطاف "**ديزي أرمسترونج**"، وقد رأيت السيدة "**أرمسترونج**" مرارًا، فأثر حزنها أبلغ التأثير في قلبي. ثم تجهم وأردف:

– إن هذا الشقي يستحق أكثر مما أصابه. وأنا مسرور؛ لأنه لقي مصرعه بهذه الطريقة البشعة. فرجل مثله لا يستحق أن يعيش.

– يخيل إليّ من حديثك وحماستك أنك ما كنت لتتردد في الفتك به لو أنك عرفت حقيقته.

– هذا صحيح فلو.. ثم كف عن الكلام واحمر وجهه وكأنه شعر بخطورة هذا التصريح وأردف بعد لحظة:

– أعلم أن كلامي هذا مريب ولكني لا أستطيع أن أكتم شعوري.

– بل كنت سأشك فيك يا سيد "**ماكوين**" لو أنك تظاهرت بالحزن، أما وأنت تعبر عن شعورك الطبيعي بمثل هذه الحماسة فذلك مما يؤيد حسن نيتك.

– أؤكد لك أن منظر المشنقة لا يمنعني من التعبير عن شعوري.

– إن مهمتي الآن هي التحقق من تصرفات المسافرين جميعا في ليلة الجريمة. لذا أرجو ألا تتصور أنني أوجه إليك تهمة ما.

– بالتأكيد. سلني عما تريد. فأنا يهمني أن أثبت براءتي بصفة قاطعة.

– لست بحاجة لأن أسألك عن رقم غرفتك. فقد شاطرتك إياها ليلة، ولكني أود أن أعرف كيف قضيت ليلتك أمس بعد أن غادرت مركبة الطعام؟

– هذا بسيط للغاية. إنني عدت إلى غرفتي. وقضيت بعض الوقت في القراءة، ثم سرت قليلا على إفريز محطة "**بلجراد**". ولما شعرت بشدة البرد. عدت إلى المركبة. وقابلت فتاة إنجليزيَّة تقيم في الغرفة المجاورة لغرفتي فتحدثت معها قليلا.

ثم قضيت بعض الوقت في حديث مع العقيد "**أريتنوت**" . وأذكر أنك مررت بنا ونحن نتحدث. وبعد ذلك قصدت إلى غرفة السيد "**راتشيت**" كما سبق أن أخبرتك فتلقيت أوامره وتعليماته. وتركته وانصرفت وكان العقيد "**أريتنوت**" لايزال واقفًا في الرواق ينتظر أن يعد الخادم فراشه. فاقترحت عليه أن يدخل غرفتي. وطلبت كأسين من الشراب. ثم دار الحديث بيننا حول السياسة العالميَّة وشئون حكومة "**الهند**" والأزمة الاقتصاديَّة في "**الولايات المتحدة الأمريكيَّة**"، وأنا لا أميل عادة إلى الإنجليز لصلفهم، لكن حديث هذا الرجل راقني فقضينا معًا فترة من الوقت.

– هل تذكر متى غادر "**أريتنوت**" غرفتك؟

– في ساعة متأخرة.. حوالي الساعة الثانية صباحًا.

– هل كنت قد لاحظت أن القطار تعطل.

– نعم لاحظنا ذلك. وتساءلنا عن السبب. ثم فتحنا النافذة ورأينا أكوام الثلج.

– وماذا حدث بعد انصراف العقيد "**أريتنوت**" من غرفتك؟

– إنه انطلق في الحال إلى غرفته. أما أنا فقد دعوت ملاحظ العربة ليعد لي فراشي.

– وأين كنت أنت حين شرع الملاحظ في إعداد فراشك؟

– كنت واقفًا في الدهليز أدخن لفافة تبغ.

– ثم؟

– ثم أويت إلى فراشي واستغرقت في النوم حتى الصباح.

– هل غادرت القطار في ذلك المساء؟

– نعم.. كنت أتحدث مع العقيد "**أريتنوت**" حين وقف القطار في محطة.. دعني أتذكر.. نعم في محطة "**فنكوفكي**" . فغادرت المركبة مع العقيد بقصد

السير على إفريز المحطة. ولكن البرد كان شديداً فعدنا في الحال.

– من أي باب غادرت المركبة؟

– من أقرب باب إلى غرفتي.

– تعني الباب المجاور لمركبة الطعام؟

– نعم..

– وهل كان هذا الباب موصداً من الداخل؟ تذكر. ففكر "**ماكوين**" ثم أجاب:

– نعم.. أذكر أنه كان موصداً من الداخل.

– وهل أوصدته عندما عدت؟

– كلا.. فاتني أن أوصده.. ثم أردف:

– وهل لذلك أهميَّة؟

– ربما. والآن أخبرني. عندما كنت تتحدث إلى العقيد "**أريتنوت**" في غرفتك. هل كان باب الغرفة مفتوحاً؟ أعني الباب الموصل إلى الدهليز؟ فأطرق "**ماكوين**" برأسه علامة الإيجاب.

– أرجو أن تخبرني إذا استطعت عما إذا كنت قد رأيت أحداً يجتاز الدهليز بعد أن غادر القطار محطة "**فنكوفكي**". أعني منذ أن غادر القطار المحطة حتى انصرف العقيد من غرفتك. قطب "**ماكوين**" حاجبيه وأجاب:

– أظن أن ملاحظ العربة مر أمامنا. قادماً من جهة مركبة الطعام، وأن سيدة أخرى سارت في عكس الاتجاه.

– أية سيدة؟

– لا أعلم. فقد كنت في شغل بالحديث مع العقيد. ولكن أذكر أن السيدة كانت ترتدي وشاحاً أحمر اللون. ومهما يكن من أمر فإنه لم يكن بوسعي أن أتبين وجهها؛ لأن غرفتي تقع في نهاية المركبة. ومجرد مرور السيدة لا يمكنني من

رؤية وجهها.

– ربما كانت السيدة تقصد إلى دورة المياه؟

– ربما.

– وهل رأيتها في عودتها؟

– كلا.. لا أذكر أنني رأيتها، ولكن لابد أنها عادت على كل حال.

– سؤال أخير يا سيد "**ماكوين**": هل تدخن؟

– كلا يا سيدي.

– شكراً لك. هذا كل ما أردت معرفته في الوقت الحاضر.. والآن أود مقابلة خادم السيد "**راتشيت**".. بهذه المناسبة، هل جرت العادة دائما أنك والخادم تسافران دائمًا في مركبات الدرجة الثانية؟

– كلا.. الخادم يسافر دائمًا بالدرجة الثانية. أما أنا فأسافر بالدرجة الأولى، وتكون غرفتي دائمًا مجاورة لغرفة السيد "**راتشيت**". ولكن حدث في هذه المرة أننا وجدنا جميع غرف الدرجة الأولى محجوزة عدا الغرفة التي قتل فيها السيد "**راتشيت**".

– أشكرك يا سيد "**ماكوين**".

- 3 -

الخادم

وجيء بخادم السيد "**راتشيت**"، وهو رجل إنجليزي شاحب اللون كان "**بوارو**" قد رآه قبلا. فأجاب عن أسئلة "**بوارو**" بأن اسمه "**ماسترمان**"، وعمره 39 سنة

وعنوانه 21 شارع "**فراير**" مدينة "**كلارنكنوبل**". سأله "**بوارو**":

– هل علمت أن سيدك قتل؟

– نعم يا سيدي. وهو حادث فظيع يؤسف له.

– هل تستطيع أن تخبرني متى رأيت السيد "**راتشيت**" لآخر مرة؟

– حوالي الساعة التاسعة من مساء أمس..

– حدثني بالتفصيل ماذا حدث عندما اجتمعت به للمرة الأخيرة؟

– إنني ذهبت إلى غرفته لإعداد ما يلزمه. فرتبت ثيابه ووضعت أسنانه الاصطناعيَّة في الماء. وأعددت ما يلزمه ليلا.

– هل كان في حالته الطبيعيَّة؟ فأجاب الخادم على الفور:

– كلا.. إنه كان في حالة غضب وانفعال.

– لماذا؟

– لا أعلم.. ولكنه كان ممسكًا في يده برسالة أعتقد أنه قرأ بها ما أزعجه، وقد سألني إذا كنت أنا الذي وضعت الرسالة على الطاولة. فأجبته سلبًا فغضب. ووصفني بأنني مهمل لا أصلح لعمل.

– هل اعتاد أن يغضب بسرعة؟

– إنه سريع الانفعال.

– هل تعلم عنه أنه كان يتعاطى شيئًا من العقاقير لمقاومة الأرق؟ وهنا أرهف الدكتور "**قسطنطين**" أذنيه وأجاب الخادم:

– نعم.. كان يتعاطى نوعًا من العقاقير في أسفاره فقط، وقد قال لي مرة إنه لا يستطيع النوم في القطار.

– هل تعرف أي نوع من العقاقير كان يتعاطى؟

– كلا يا سيدي.. فإنني لم أكن أقرأ على الزجاجة التي تحتوي هذه العقاقير

أكثر من الكلمات (دواء منوم يستعمل قبل النوم) .

– وهل تعاطى هذا الدواء أمس؟

– نعم يا سيدي . إنني وضعت الدواء بالكأس ومزجته بالماء وتركت الكأس على الطاولة .

– هل رأيته بعيني رأسك وهو يشرب ما في الكأس؟!

– كلا يا سيدي .

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– سألته إن كان يريد شيئًا آخر . وعن الساعة التي يريد أن يستيقظ فيها ، فقال إنه لا يريد أن يزعجه أحد ، وإنه متى يستيقظ فسيقرع الجرس .

– في أية ساعة كان السيد "**راتشيت**" يستيقظ عادة؟

– لم يكن يستيقظ في ساعة معينة يا سيدي ، فتارة ينهض مبكرًا ، وتارة ينهض ظهرًا .

– وعليه فإنك لم تشعر بالانزعاج حين مرت ساعات الصباح ولم يدعك ملاحظ المركبة لمقابلة سيدك؟

– كلا يا سيدي لم أشعر بالانزعاج .

– هل كنت تعلم أن لسيدك أعداء؟ فأجاب الرجل في غير تردد :

– نعم يا سيدي فقد سمعته يتحدث مع السيد "**ماكوين**" عن رسائل تهديد وردت إليه .

– هل كنت تحب سيدك يا "**ماسترمان**"؟

– إنه كان سخيًا .

– ولكنك لم تكن تحبه .

– والواقع يا سيدي أنني لا أحب الأمريكيين على الإطلاق .

– هل زرت "**أمريكا**" ؟

– كلا يا سيدي.

– هل تذكر أنك قرأت في الصحف شيئا عن حادث "**أرمسترونج**" ؟ فاحمر وجه الرجل قليلا وأجاب:

– نعم يا سيدي.. أذكر أنني قرأت عن حادث اختطاف طفلة بهذا الاسم. وقد كان من الحوادث المروعة.

– هل كنت تعلم أن سيدك السيد "**راتشيت**" هو المتهم الأول في هذا الحادث؟

– أبداً يا سيدي.. لا علم لي بذلك. وقد قال الخادم ذلك بلهجة تدل على الصدق. ثم أردف:

– بل إني لا أستطيع أن أصدق ذلك.

– دعنا من ذلك. ولنتحدث عن تحركاتك في ليلة الجريمة فأخبرني.. ماذا فعلت بعد أن تركت سيدك؟

– ذهبت إلى السيد "**ماكوين**". وأنبأته بأن السيد "**راتشيت**" يريد التحدث إليه. ثم قصدت بعد ذلك إلى غرفتي وشرعت أقرأ بعض الصحف.

– وغرفتك تقع في..

– في مؤخرة مركبة الدرجة الثانية التالية لعربة الطعام. فألقى "**بوارو**" نظرة سريعة على الرسم التخطيطي الذي بين يديه ثم سأل:

– في أي فراش؟

– الفراش رقم 4.

– وهل يقيم معك في الغرفة أحد؟

– نعم.. يقيم معي رجل إيطالي.

– هل يتكلم هذا الإيطالي الإنجليزيَّة؟ فأجاب الخادم باحتقار:

– إنه يتكلم الإنجليزيَّة بلهجة سقيمة.. وقد فهمت منه أنه زار "**أمريكا**" وأقام في "**شيكاغو**".

– هل كنتما تتبادلان الحديث غالبًا؟

– كلا يا سيدي؛ لأنني أفضل القراءة على سماع الإنجليزيَّة السقيمة. فابتسم "**بوارو**" ثم سأل:

– هل أستطيع أن أسألك عما كنت تقرأ؟

– نعم.. كنت أقرأ قصة (أسير الحب) بقلم "**أرابيللا ريتشارد سن**".

– لنعد إلى حديثنا.. إنك قصدت إلى غرفتك وشرعت في قراءة قصة (أسير الحب) ثم ماذا حدث بعد ذلك؟

– حدث في منتصف الساعة الحادية عشرة أن أراد الإيطالي أن ينام. فاستدعى ملاحظ المركبة لإعداد الفراش.

– وعندئذ رقدت أنت أيضًا..؟

– نعم ولكنني لم أنم؟

– ولماذا لم تنم؟

– لأني شعرت بألم في أسناني. فلجأت إلى بعض العقاقير. ولكني مع ذلك لم أستطع النوم. فأدنيت المصباح من فراشي وواصلت القراءة لأنسى الألم.

– ولم تنم على الإطلاق؟

– كلا يا سيدي.. ولكن غلبني التعب حوالي الساعة الرابعة صباحًا، فاغمضت عيني. أما زميلي فإنه استغرق في النوم حالما وضع رأسه على الوسادة.

– ألم يترك فراشه طوال الليل؟

– كلا يا سيدي.

– وأنت؟

– ولا أنا.

– هل سمعت شيئًا في الليل؟

– لا أظن أنني سمعت شيئًا يا سيدي. أعني أنني لم أسمع شيئًا غير عادي ولما تعطل القطار، كان السكون شاملا.

– ماذا كنت تفعل قبل أن تلتحق بخدمة السيد "**راتشيت**" ؟

– كنت خادمًا للسيد "**هنري طومانسون**" بـ"**لندن**" .

– ولماذا تركت خدمته؟

– لأنه رحل إلى شرق "**إفريقيا**" ولم يكن بحاجة إليّ.

– وكم قضيت في خدمة السيد "**راتشيت**" ؟

– تسعة أشهر تقريبًا.

– شكرًا لك يا "**ماسترمان**" . ولكن خبرني بهذه المناسبة. هل تدخن؟

– نعم يا سيدي.. إنني أدخن لفائف التبغ.

– أشكرك. لست بحاجة إليك الآن. وسأدعوك عند الضرورة. ولكن الخادم لم ينصرف. بل تردد قليلا فسأله "**بوارو**" :

– هل لديك ما تريد قوله؟

– نعم يا سيدي. إن السيدة الأمريكيَّة الثرثارة المتقدمة في السن. أعني السيدة "**هوبار**" في حالة انفعال شديد. وهي تصرح بأنها تعرف حقيقة القاتل. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– في هذه الحالة يجب أن نستجوبها بغير توان.



- 4 -

السيدة الأمريكيَّة

وصلت السيدة "**هوبار**" إلى مركبة الطعام وهي في حالة انفعال شديد. وشرعت تقول بأنفاس لاهثة:

– أرجو أن ترشدوني إلى أي شخص ذي سلطة في هذا المكان. إن لدي معلومات مهمة جدًّا. أود أن أصرح بها في أسرع وقت. وأجالت بصرها حولها. واستقرت عيناها على "**بوارو**" فبدأها بقوله:

– صرحي لي بكل شيء يا سيدتي. ولكن أرجو أولا أن تجلسي وتستريحي. فتهالكت السيدة "**هوبار**" على مقعد أمام "**بوارو**" وقالت:

– إن ما أريد أن أقوله لك هو هذا. لقد وقعت في القطار جريمة قتل هذا المساء وكان القاتل في غرفتي. وكفت عن الكلام لترى تأثير هذا التصريح الخطير في نفوس سامعيها. قال لها "**بوارو**":

– هل أنت واثقة يا سيدتي؟

– بكل تأكيد. إنني أعرف ما أقول. وسأصارحك بكل ما أعرف. لقد أويت إلى فراشي كالمعتاد لأنام، ولكني استيقظت في الظلام فجأة وقد استولى عليّ شعور بأن بالغرفة رجلا. دب الرعب في قلبي فلم أستطع الاستغاثة وانتظرت بين لحظة وأخرى أن يهجم هذا الرجل عليّ ويفتك بي. وتزاحمت في ذهني في هذه اللحظة جميع جرائم القطارات التي قرأت عنها. ولكني طمأنت نفسي بأن قلت «مهما يكن من أمر فإن القاتل لن يعرف مكان مجوهراتي؛ لأنني خبأتها في جورب قديم. وأخفيت هذا الجورب تحت وسادتي».

– هل كنت واثقة بوجود رجل بالغرفة؟

– نعم يا سيدي.. ولكنني أغمضت عيني وتظاهرت بالنوم وشرعت أفكر فيما يجب أن أفعله. وأخيرا تفتق ذهني عن رأي فمددت يدي ببطء وجعلت أبحث بأصبعي عن الجرس حتى وجدته.. وعندئذ ضغطت عليه بقوة وضغطت.. وضغطت.. وضغطت ولكنني لم أسمع وقع خطوات خارج الغرفة. وتوهمت أن الرجل لابد أن يكون قد فتك بالمسافرين جميعا فلم يبق على قيد الحياة سواي. بيد أني قرعت الجرس قرعا متواليا. وخيل إليّ أن جبلا من الهموم قد زال عن صدري حين سمعت موظف المركبة يقرع باب غرفتي. صرخت:

– ادخل. وفي الوقت نفسه مددت يدي فأضأت النور.. ولكن لشد ما كانت دهشتي حين لم أر في الغرفة أحدا.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– ماذا حدث!! أخبرت ملاحظ المركبة بما وقع. ولكنه لم يصدقني، والظاهر أنه ظن أنني كنت أحلم بيد أنه بحث عن الرجل تحت الفراش وفي كل مكان. ولابد أن الرجل فر ولكن كيف؟ لا أعلم. وأؤكد لك يا سيد.. يا سيد.. لا أظن أنني أعرف اسمك..

– اسمي "**بوارو**" يا سيدتي. ثم أشار إلى زميله وأردف:

– وهذا السيد "**بوك**" مدير شركة عربات النوم. وهذا الدكتور "**قسطنطين**".

فغمغمت السيدة "**هوبار**":

– يسرني أن أعرفكم أيها السادة.

ثم مضت في قصتها: وقد حدثتني نفسي بأن الرجل الذي شعرت بوجوده في غرفتي هو المسافر الذي يقيم بالغرفة المجاورة، أعني ذلك الرجل المسكين الذي قتل. وكاشفت الموظف بما خطر لي. وطلبت إليه أن يفحص الباب المتوسط بين

الغرفتين. ففعل.. ووجد أن الباب ليس موصدا بالمزلاج، فأمرته أن يوصده وبعد انصرافه نهضت من فراشي وفحصت الباب مرة أخرى. وتأكدت من أنه موصد. ثم وضعت خلفه حقيبة كبيرة لزيادة الاطمئنان.

– كم كانت الساعة وقتئذ؟

– لا أعلم؛ لأنني كنت في حالة اضطراب شديد فلم أفكر في معرفة الوقت.

– ألا يمكن يا سيدتي أن يكون ما طرق سمعك هو صوت وقع خطوات في الغرفة المجاورة؟ أعني غرفة القتيل؟

– نعم. نعم. ليس وقع خطوات، فأنا على يقين بأن الرجل كان في غرفتي. وإذا أردت الدليل فإنني أقدمه لك! وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وفتحت حقيبة كبيرة كانت في يدها، وأخرجت منها منديلين. وعوينات وحزمة مفاتيح، ودفتر حوالات، وصورة فوتوغرافيَّة لطفل وبعض رسائل.. وزرا.. ثم قالت:

– هل ترى هذا الزر؟ إنه ليس من أزرار أي ثوب من ثيابي.. وقد وجدته في غرفتي عندما استيقظت في صباح اليوم. وضعت الزر على المنضدة. فانحنى السيد "**بوك**" وأمعن النظر فيه قليلا، ثم هتف:

– ولكن هذا زر ثوب رسمي لأحد عمال مركبات النوم. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– إذن لابد أن يكون هذا الزر قد سقط من ثوب ملاحظ مركبة النوم عندما كان يفتش غرفتك ليلة أمس، أو عندما كان يرتب فراشك.

– أنا لا أفهم ماذا تعني يا سيدي. ويخيل إليّ أن جميع الرجال الرسميين قد خلقوا لإقامة العراقيل فقط.. أصغ إليّ يا سيدي.. إنني كنت أقرأ إحدى المجلات ليلة أمس.. وقبل أن أطفئ المصباح وضعت هذه المجلة على حقيبة قريبة من النافذة، فهل فهمت ما ذكرت حتى الآن؟

فأكد لها "**بوارو**" أنه فهم. أردفت:

– حسنًا.. عندما جاء ملاحظ عربة النوم. أوصد الباب بالمزلاج، الباب الذي يفصل بين غرفتي وغرفة القتيل ولم يقترب مطلقًا من النافذة.. فهل تعلم أين وجدت هذا الزر؟ إنني وجدته على المجلة التي قلت لك إنني وضعتها قبل أن أنام فوق حقيبة على مقربة من النافذة فما رأيك في هذا؟

– رأيي أن هذا الزر يصلح لأن يكون دليلا مهما. فتنفست السيدة الصعداء. وظهرت على وجهها علامات الارتياح. وقالت:

– لو لم تصدقني لجن جنوني.

– الواقع يا سيدتي أنك قدمت إلينا دليلا مفيداً.. ولكن هل تسمحين لي بأن ألقي عليك سؤالا؟

– بكل سرور.

– كيف حدث أنك أغفلت الباب الذي يفصل بين غرفتك وغرفة السيد "**راتشيت**" فلم تلاحظي أنه غير موصد بالمزلاج على الرغم من أنك عبرت عن نفورك من "**راتشيت**" وفزعك من منظره؟ فأجابت في الحال:

– كيف علمت أنني لم ألاحظ ذلك؟

– ماذا فعلت إذن؟

– إنني طلبت إلى السيدة السويديَّة عندما جاءتني أن تتأكد من أن الباب موصد ففعلت.

– ولماذا لم تتأكدي بنفسك؟

– لأنني كنت وقتئذ في فراشي. وكانت المنشفة موضوعة فوق المزلاج.

– كم كانت الساعة عندما طلبت إليها أن تتأكد من أن الباب موصد؟

– دعني أفكر.. نعم.. كانت الساعة وقتئذ العاشرة والنصف تقريبًا. ثم ضحكت فجأة وقالت:

– مسكينة تلك السيدة السويديَّة.. إنها كانت تبحث عن كرسي، ففتحت باب غرفة "**راتشيت**" خطأ.. والظاهر أن الرجل قال لها شيئًا على سبيل الدعابة لم يرضها. فهرولت إلى غرفتي وهي مضطربة حزينة لوقوعها في هذا الخطأ.

– حدثيني هل تذكرين شيئًا عن حادث اختطاف "**ديزي أرمسترونج**"؟

– نعم أذكر. وأذكر أن المجرم الأثيم خرج من "**الولايات المتحدة الأمريكيَّة**" ورأسه بين كتفيه. نعم. إنه نجا من القصاص.

– كلا يا سيدتي.. إنه لم ينج من القصاص؛ لأنه مات أمس.

– أتعني أن.. ونهضت من مكانها فجأة. ونظرت إلى "**بوارو**" بمزيج من الدهشة والخوف.

– نعم. إن "**راتشيت**" هو المجرم المسؤول عن حادث "**ديزي أرمسترونج**".

– يا لله! لابد أن أبعث إلى ابنتي بهذا النبأ الطريف. ولكن.. ألا تذكر أنني قلت لك أمس إن للرجل سحنة لا تدعو إلى الطمأنينة؟!

– هل كانت لك صلة بأي فرد من أفراد أسرة "**أرمسترونج**"؟!

– كلا.. إنهم كانوا يعيشون في محيط خاص. ولكني كنت أسمع عن السيدة "**أرمسترونج**" أنها سيدة حسناء، دمثة الخلق. وأن زوجها كان يحبها حبًّا جمًّا.

– أشكرك يا سيدة "**هوبار**". إنك قدمت إلينا معلومات غاية في الأهميَّة. ولكن هل تسمحين بذكر اسمك كاملا؟!

– بغير شك. اسمي "**كارولين مارتا هوبار**".

– هل لك في أن تكتبي عنوانك على هذه الورقة؟ وقدم إليها قصاصة ورق. فكتبت عنوانها. ثم سألها:

– وبهذه المناسبة يا سيدة "**هوبار**" . هل لديك وشاح من الحرير الأحمر؟

– ما أعجب هذا السؤال يا سيدي! كلا إنني لا أملك وشاحًا أحمر، عندي وشاحان: أحدهما قرمزي اللون، والآخر وردي.. ولكن ما شأنك أنت والسؤال عن ثيابي؟!

– الواقع يا سيدتي.. أن امرأة في وشاح أحمر دخلت غرفتك أو غرفة السيد "**راتشيت**" ليلة أمس..

– أؤكد لك أنني لم أقابل في غرفتي سيدة ذات وشاح أحمر.

– إذن كان لابد أن تكون هذه السيدة قد دخلت غرفة "**راتشيت**" . فقلبت السيدة "**هوبار**" شفتيها وقالت بقلة اكتراث:

– ربما. فنظر إليها "**بوارو**" بحدة وقال:

– إذن قد سمعت صوت امرأة في غرفة "**راتشيت**" .

– لا أدري في الحق كيف عرفت ذلك؟ نعم.. لا أدري.. ولكني في الواقع قد سمعت صوت امرأة في غرفة "**راتشيت**" .

– كم كانت الساعة وقتئذ؟

– لا أعلم.. إنني استيقظت من نومي وسمعت صوت امرأة تتكلم.. وقد عرفت مصدر الصوت. وقلت لنفسي: «هذا ما ينتظر من رجل مثل "**راتشيت**" ».

– هل سمعت صوت المرأة في غرفة "**راتشيت**" قبل أن تتوهمي وجود رجل في غرفتك؟

– من المؤكد أن الرجل لم يكن يتكلم مع المرأة وهو ميت.. لقد قلت لك إنه كان ميتًا عقب حادث الرجل الذي دخل غرفتي..

– فهمت شكرًا لك. وأخذ يعاونها على وضع أشيائها في الحقيبة، ثم رافقها

إلى الباب وقبل أن تغادر السيدة "**هوبار**" الغرفة قال "**بوارو**":

– إنك نسيت منديلك يا سيدتي. فألقت نظرة سريعة على المنديل الذي بيده وأجابت على الفور:

– إنه ليس منديلي يا سيدي.. منديلي هنا في الحقيبة.

– عفواً لقد ظننته منديلك؛ لأنني رأيت على أحد أركانه حرف (هـ).

– إن الحروف التي أطرزها على منديلي هي (ك. م. هـ).. لا (هـ) فقط، ثم إن جميع مناديلي كبيرة الحجم. ولست أجد في الواقع لمنديل صغير مثل هذا أية فائدة.

- 5 -

السيدة السويديَّة

تناول "**بوارو**" الزر الذي تركته السيدة "**هوبار**". وأخذ يقلبه بين أصابعه. ثم قال:

– ما رأيك يا سيد "**بوك**". هل تعتقد أن لـ"**بيير ميشيل**" أصبعا في الجريمة؟!

– من يدري.. سنعرف كل شيء بعد إتمام التحقيق.

– يجب الآن أن نسمع أقوال السيدة السويديَّة. وأخذ يبحث بين جوازات السفر التي أمامه حتى عثر على الجواز الخاص بهذه السيدة فقرأ فيه:

« "**جريتا أولسون**" عمرها 49 سنة». وأمر السيد "**بوك**" بدعوة هذه السيدة، فأقبلت بعد دقائق وهي هادئة ثابتة الجنان. وظهر أنها تجيد الفرنسيَّة فالقى عليها

"**بوارو**" الأسئلة التي يعرف أجوبتها ونعني اسمها، وعمرها، وعنوانها. وسألها عن مهنتها فأجابت أنها تدير إحدى مدارس الإرساليات الأمريكيَّة على مقربة من "**إسطنبول**". قال لها:

– لقد علمت ولاشك بما حدث في القطار ليلة أمس.

– بالتأكيد، إنه حادث مخيف حقًّا. وقد أخبرتني السيدة الأمريكيَّة أن القاتل كان في غرفتها.

– قيل لي يا سيدتي إنك كنت آخر من رأى القتيل على قيد الحياة. فهل هذا صحيح؟

– لا أعلم يا سيدي. قد يكون هذا صحيحًا، والواقع أنني فتحت باب غرفته خطأ. وكان خجلي عظيمًا.

– وهل وقع بصرك عليه عندما فتحت بابه؟

– نعم. وكان وقتئذ يقرأ كتابا فاعتذرت إليه في الحال وانسحبت.

– وماذا فعلت بعد ذلك يا سيدتي؟

– ذهبت إلى غرفة السيدة الأمريكيَّة السيدة "**هوبار**". وطلبت منها دواء مسكنا للصداع.

– هل طلبت إليك التحقق مما إذا كان الباب الموصل بين غرفتها وغرفة السيد "**راتشيت**" موصدًا؟

– نعم.

– وهل كان موصدًا حقًّا؟

– نعم.

– وبعد ذلك؟

– بعد ذلك عدت إلى غرفتي. واضطجعت في فراشي.

– كم كانت الساعة؟

– عندما استلقيت في فراشي كانت الساعة الحادية عشرة إلا بضع دقائق.

– وهل استولى عليك النوم في الحال؟

– كلا؛ لأن الصداع استمر بعض الوقت.

– هل هذه غرفتك؟ وأشار إلى «الرسم» الذي بين يديه. فأجابت:

– نعم. هذه غرفتي.

– هل تقيم معك فيها سيدة أخرى؟

– نعم. فتاة إنجليزيَّة وديعة، دمثة الخلق. قالت لي إنها قادمة من "**بغداد**".

– هل تركت هذه الفتاة الغرفة بعد أن غادر القطار محطة "**فنكوفكي**"؟!

– كلا.. أنا واثقة بأنها لم تغادر الغرفة.

– كيف تكونين واثقة. مع أنك استغرقت في النوم؟

– إنني أستيقظ عند أقل حركة. ومجرد فتح الباب يكفي لإيقاظي.

– وأنت هل غادرت الغرفة بعد المحطة المذكورة؟

– كلا.. لم أغادر غرفتي إلا صباحًا.

– هل تملكين وشاحا أحمر اللون؟

– كلا.

– والفتاة الإنجليزيَّة التي تقيم معك في المركبة.. أعني الآنسة "**دينهام**".. هل تملك وشاحا أحمر؟

– كلا.. إنها ترتدي وشاحا أصفر اللون قالت إنها ابتاعته من "**بغداد**". فأطرق "**بوارو**" برأسه. ثم سألها بلطف:

– هل سافرت مرة إلى "**أمريكا**"؟

– كلا.. كدت أذهب مرة في رفقة سيدة مريضة. ولكن السيدة ألغت رحلتها

في آخر لحظة وقدْ أسفت لذلك كل الأسف. فالأمريكيون قوم طيبون، كرماء، ينفقون بسخاء في إنشاء المدارس والمستشفيات.

- هل سمعت مرة بحادث اختطاف طفلة من أسرة معروفة تسمى أسرة "**أرمسترونج**"؟

- كلا.. ما حقيقة هذا الحادث؟! وهنا قص عليها "**بوارو**" قصة "**ديزي أرمسترونج**". وأصغت إليه السيدة باهتمام ثم ظهرت عليها علامات الاشمئزاز وهتفت:

- يا لله! من كان يصدق أن في العالم أشرارا من هذا النوع! مسكينة والدة الطفلة. إن قلبي يتصدع إشفاقا عليها. وانصرفت السيدة وعيناها مغرورقتان بالدموع. أما "**بوارو**" فإنه تناول قلمه وأخذ يكتب باهتمام.. ثم سأله "**بوك**":

- ماذا تكتب يا صديقي؟ فأجاب "**بوارو**":

- لقد اعتدت أن أنظم عملي حتى لا تختلط عليّ الأدلة، وأنا الآن أسجل الحوادث بترتيب وقوعها.

ولما فرغ من الكتابة دفع الورقة إلى السيد "**بوك**" الذي قرأ فيها:

في الساعة 9.15 غادر القطار محطة "**بلجراد**".

في الساعة 9.40 وضع الخادم الدواء في غرفة "**راتشيت**" وانصرف.

في الساعة 10.00 غادر "**ماكوين**" غرفة "**راتشيت**".

في الساعة 10.40 وقع بصر "**جريتا أولسون**" على "**راتشيت**" وكان جالسًا يقرأ، وهذه آخر مرة شوهد فيها الرجل على قيد الحياة.

في الساعة 12.10 غادر القطار محطة "**فنكوفكي**".

في الساعة 12.30 تعطل القطار، بسبب تراكم الثلوج.

في الساعة 12.37 دق "**راتشيت**" الجرس فهرول إليه ملاحظ المركبة، ولكن

"**راتشيت**" لم يفتح الباب، وقال بالفرنسيَّة إنه لا يطلب شيئا، وإنه أخطأ حين دق الجرس.

في الساعة 1.17 توهمت السيدة "**هوبار**" أن في غرفتها رجلا. فدقت الجرس.

قرأ السيد "**بوك**" هذه الملاحظات وهز رأسه موافقًا وسأله "**بوارو**":

– ألا ترى في هذا البيان ما يلفت النظر؟

– كلا! الأمر واضح غاية الوضوح، وإني أظن أن الجريمة ارتكبت حوالي الساعة 1.15 وساعة القتيل تؤيد ذلك، وأقوال السيدة "**هوبار**" لا تدع سبيلا للشك. وإذا أردت رأيي في المجرم فإني أقول إنه ذلك الإيطالي ضخم الجسم؛ وذلك لأنه قادم من "**أمريكا**"، أو على الأصح قادم من "**شيكاغو**"، ومما هو جدير بالملاحظة أن الخنجر هو سلاح الإيطاليين، والإيطالي لا يكتفي بضربة واحدة، بل يطعن مثنى وثلاث ورباع.

– هذا صحيح.

– ولا شك في أن الجريمة تتلخص فيما يلي: كان هذا الإيطالي شريكا لـ"**راتشيت**" في جريمة الاختطاف، واسم "**راتشيت**" الأصلي هو "**كاسيتي**" كما ذكرت أنت، وهو اسم يدل على أن الرجل إيطالي. ومن المحتمل أن يكون "**راتشيت**" قد أوقع بهذا الإيطالي أو خدعه، فتعقبه هذا وطارده، وأرسل إليه خطابات التهديد والوعيد ثم فتك به بهذه الصورة كما ترى.

– وما رأيك في الخادم "**ماسترمان**" الذي أقسم أن هذا الإيطالي لم يغادر الغرفة؟

– هذا موضع الحيرة. ثم غمز بعينه وقال:

– نعم! هذا موضع الحيرة، لكن أقوال الخادم تهدم نظريتك، وتنقذ الإيطالي من تهمة ارتكاب جريمة القتل.

- 6 -

الأميرة الروسيَّة

قال "**بوارو**" :

– يجب أن نسأل "**بيير ميشيل**" عن رأيه في هذا الزر الذي وجدته السيدة "**هوبار**" في غرفتها. ودعي "**بيير ميشيل**" فدخل المكان وفي عينيه نظرة قلق وجزع. قال له السيد "**بوك**" :

– أصغ إليّ يا "**ميشيل**" .. إننا وجدنا زرا من ثوبك في غرفة السيدة الأمريكيَّة، فكيف تفسر وجوده هناك؟ فنظر "**ميشيل**" إلى ثوبه وأجاب في الحال:

– هذا الزر ليس لي يا سيدي. إن جميع أزراري تامة. ولابد أن في الأمر خطأ.

قال "**بوك**" :

– لقد وجد هذا الزر في ظروف تدل على أن صاحبه دخل غرفة السيدة "**هوبار**" ليلة أمس عندما قرعت الجرس.

– ولكني أؤكد لك يا سيدي أن أحدا لم يدخل غرفة السيدة "**هوبار**" .. ولا شك في أنها واهمة.

– كلا يا "**ميشيل**" .. إنها ليست واهمة. فالرجل الذي قتل "**راتشيت**" مر من غرفتها. وأضاع هذا الزر. وهنا استشاط "**ميشيل**" غضبا. وصاح بحدة:

– هذا غير صحيح! هذا غير صحيح! أتتهمني بارتكاب الجريمة؟ إني بريء يا سيدي.. وبعد فما الذي يدعوني إلى الفتك برجل لا أعرف عنه قليلا أو كثيراً ولم يقع عليه بصري قبل هذه الرحلة!

– أين كنت عندما دقت السيدة "**هوبار**" الجرس؟

– قلت لك يا سيدي إنني كنت في المركبة الأخرى أتحدث مع زميلي.

– سنرسل في طلب زميلك.

– نعم يا سيدي. أرجو أن ترسل في طلبه لتزول عني كل شبهة. وجيء بملاحظ المركبة الثانية. فأقر ما ذكره "**ميشيل**"، وأضاف قائلا:

– إن ملاحظ مركبة النوم التي ألحقت بالقطار في محطة "**بوخارست**" كان موجودا في أثناء الحديث الذي دار بيني وبين "**ميشيل**"، وإن هذا الحديث دار حول الطقس وكثرة الجليد، وإنه استغرق عشر دقائق سمع بعدها "**ميشيل**" رنين الجرس فهرول إلى مركبته. وما إن فرغ الرجل من الإدلاء بشهادته حتى هتف "**ميشيل**":

– أرأيت يا سيدي أنني بريء؟

– ولكن هذا الزر؟ كيف تفسر وجوده في غرفة السيدة "**هوبار**"؟

– لا أستطيع أن أفسر شيئًا يا سيدي. أنا لم أفقد هذا الزر. وقرر زميلاه مثل ذلك. وأكدا أنهما لا يعرفان السيدة "**هوبار**" ولم يدخلا غرفتها. قال السيد "**بوك**":

– رفه عنك يا "**ميشيل**". وتذكر في هدوء هل صادفك أحد وأنت في طريقك لتلبية نداء السيدة "**هوبار**"؟

– كلا يا سيدي. لم يصادفني أحد..

– هل رأيت أحداً يسير في الدهليز نحو إحدى المركبات الأخرى؟

– كلا لم أر أحداً.

– هذا غريب حقًا. فقال "**بوارو**". وكان قد لزم الصمت في أثناء الحديث الذي دار بين "**بوك**" وموظفه:

– كلا يا عزيزي.. ليس في الأمر شيء من الغرابة.. المسألة مسألة وقت.

لقد استيقظت السيدة "**هوبار**" وشعرت بأن في غرفتها شخصًا مجهولا، فاستولى عليها الرعب وأغمضت عينيها. وراحت تفكر في طريقة للخلاص. وفي هذه الأثناء لابد أن يكون الرجل قد تسلل من غرفتها إلى الرواق، وبعد أن أفرغ روعها. قرعت الجرس بشدة فلم يحضر "**ميشيل**" في الحال؛ لأنه كان يتحدث مع زميليه. وعندما سمع "**ميشيل**" رنين الجرس هرول إلى غرفة السيدة "**هوبار**". وكان القاتل في هذه الأثناء قد تمكن من.. فقاطعه السيد "**بوك**" بحدة:

– كيف يكون قد تمكن من الفرار يا عزيزي والقطار محاط بالثلوج من كل ناحية. فقال "**بوارو**" ببطء:

– لم أقل إن القاتل فر من النافذة. لقد كانت أمامه وسيلتان للاختفاء. الأولى أن يتوارى في دورة المياه، والثانية أن يختفي في إحدى غرف القطار.

– ولكن الغرف جميعها حافلة بالمسافرين.

– نعم.

– تعني أنه اختفى في غرفته!

– هذا ممكن. فأطرق "**بوارو**" برأسه ثم قال:

– لا يزال أمامنا ثمانية أشخاص يجب أن نستجوبهم. خمسة منهم في مركبات الدرجة الأولى: وهم الأميرة "**دراجوميروف**". والأمير والأميرة "**أندريني**"، والعقيد "**أربتنوت**"، والسيد "**هاردمان**"، وثلاثة في مركبات الدرجة الثانية: وهم الآنسة "**دينهام**"، و"**أنطونيو فوسكاريللي**"، والفتاة الألمانيَّة الآنسة "**شميدث**".

– من تريد أن ترى أولا؟ الرجل الإيطالي؟!

– أراك ناقمًا على هذا الإيطالي، وتريد الإيقاع به. لا لشيء إلا لتحقيق وجهة نظرك في أنه القاتل. كلا يا عزيزي "**بوك**".. من رأيي أن نبدأ أولا من قمة الشجرة فنستجوب الأميرة الروسيَّة. ثم التفت إلى "**بيير ميشيل**" وقال له:

– أرجوك أن تنبئ الأميرة "**دراجوميروف**" بأنني أود مقابلتها، فإذا لم تستطع الحضور فقل لها إنني على استعداد للانتقال إلى غرفتها. بيد أن الأميرة لبت الدعوة في الحال. وحضرت بنفسها، وحيت "**بوارو**" و"**بوك**" والطبيب بإحناء رأسها. ثم جلست على المقعد الذي قدمه إليها "**بوارو**". وقد أراد "**بوك**" أن يعتذر عن إزعاجها فقاطعته بقولها:

– لا داعي للاعتذار يا سيدي. فقد علمت أن جريمة قتل وقعت في هذا القطار. ومن الطبيعي– والحالة هذه– أن يستجوب جميع المسافرين. وثق بأنه يسرني أن أساعد التحقيق بقدر ما أستطيع. فأجابها "**بوارو**":

– شكرًا لك يا سيدتي.

– سلني عما تريد يا سيدي، فأنا على أتم الاستعداد للإجابة، فقدم لها ورقة وقلما وقال لها:

– هل لك أن تكتبي اسمك كاملا وعنوانك؟ فأجابت:

– اكتب أنت.. اسمي "**ناتاليا دراجوميروف**". وعنواني شارع "**كيبر**" رقم 17 بـ"**باريس**".

– هل أنت قادمة من "**إسطنبول**" يا سيدتي؟

– نعم يا سيدي.. وكنت أقيم في "**إسطنبول**" بدار المفوضيَّة النمسويَّة. وبرفقتي خادمتي.

– وإلى أين تقصدين؟

– إلى "**باريس**" بالتأكيد.

– هل أستطيع أن أعلم منك شيئًا عن تحركاتك ليلة أمس؟

– بكل تأكيد.. إنني كنت أتناول طعام العشاء بمركبة الطعام حين أمرت ملاحظ مركبات النوم بإعداد فراشي. ولما فرغت من الطعام. قصدت إلى غرفتي في

الحال وتناولت كتابًا أخذت أطالعه حتى كانت الساعة الحادية عشرة فأطفأت النور، ولكني لم أنم في الحال؛ لأنني أتألم من مرض الروماتيزم. وبعد ربع الساعة تقريبًا قرعت الجرس. ودعوت خادمتي. فمكثت معي. وراحت تقرأ لي بصوت مسموع حتى استولى عليّ النعاس فنمت. ولا أستطيع أن أذكر بالتحديد متى غادرت الخادمة غرفتي، فهي ربما قضت معي ساعة أو نصف الساعة. لا أعلم تمامًا.

– هل شعرت بالقطار عندما توقف؟

– نعم..

– ألم تصل إلى أذنيك ضجة غير عادية؟

– نعم.. لم أسمع شيئًا غير عادي..

– ما اسم خادمتك؟

– "**هلدجارد شميدث**".

– هل قضت في خدمتك مدة طويلة؟

– قضت في خدمتي خمسة عشر عاما تقريبا.

– لا شك في أنك سافرت إلى "**أمريكا**" مرة على الأقل؟ فرفعت الأميرة حاجبيها. وقد أدهشها هذا الانتقال الفجائي من موضوع إلى آخر ولكنها أجابت:

– بل سافرت مرارًا.

– هل اتفق لك أن عرفت في "**أمريكا**" أسرة تحمل اسم "**أرمسترونج**"؟ فأجابت الأميرة بصوت يتهدج:

– بعض أفراد هذه الأسرة كانوا من أعز أصدقائي يا سيدي.

– هل عرفت العقيد "**أرمسترونج**"؟

– معرفة بسيطة ولكن زوجته "**سونيا أرمسترونج**" كانت من أكرم صديقاتي.. وكذلك كانت تربطني بأمها الممثلة "**ليندا آردن**" أوثق روابط الصداقة. وقد كانت

امـرأة مـوهـوبة، وأعـتـقـد أنهـا كـانـت من أعظم المـمـثـلات اللائي ظهـرن في القـرن العشرين.. وقد برعت في تمثيل دور السيدة "**ماكبث**" و"**ماهدا**".

– لقد ماتت هذه الممثلة.. أليس كذلك؟

– نعم. إنها لم تمت. بل لاتزال على قيد الحياة. ولكنها تعيش بمعزل عن الناس وحالتها الصحيَّة ليست على ما يرام. فهي تقضي كل وقتها ممددة في مقعد كبير.

– أعتقد أن لهذه السيدة ابنة أخرى غير زوجة العقيد "**أرمسترونج**".

– نعم، لها ابنة أصغر كثيراً من زوجة العقيد.

– وهل لاتزال هذه الابنة على قيد الحياة؟

– بكل تأكيد.

– أين هي الآن؟ فحدجته الأميرة بنظرة حادة ثم قالت:

– يجب أن أعلم أولا لماذا تلقي كل هذه الأسئلة، وما الصلة بين أسرة "**أرمسترونج**" والجريمة التي وقعت في هذا القطار؟

– توجد صلة وثيقة بين الموضوعين يا سيدتي الأميرة. وإذا شئت فإنني ألخص لك هذه الصلة فيما يلي: إن الرجل الذي قتل في هذا القطار هو الذي ارتكب جريمة اختطاف وقتل ابنة العقيد "**أرمسترونج**".

– آه! إذا كان الأمر كذلك. فإنني أرتاح لقتل هذا المجرم.

– هذا طبيعي يا سيدتي.. فكل إنسان اطلع على قضيَّة "**أرمسترونج**" لا يسعه إلا الشعور بكراهيَّة المجرم الأثيم الذي أفنى هذه العائلة السعيدة بجريمته المنكرة. والآن.. لنعد إلى السؤال الذي لم تجيبي عنه.. أين تقيم الآن صغرى بنات "**ليندا آردن**"؟

– الواقع يا سيدي أنني لا أعرف أين تقيم. فقد انقطعت الصلة بيني وبين هذا الجيل الحديث. ولكني أعتقد أنها اقترنت برجل إنجليزي منذ عدة أعوام، وأنها

رحلت معه إلى "**إنجلترا**" .

– سؤال آخر يا سيدتي ما لون وشاحك؟

– لابد أن هناك ما يدعو إلى إلقاء هذا السؤال العجيب. ولذلك فإنني أجيبك عنه. فأقول لك إن وشاحي أزرق اللون. قالت ذلك ثم نهضت واقفة. فنهض الرجال الثلاثة احتراما لها.

- 7 -

الأميرة "أندريني"

ودعي الأمير والأميرة "**أندريني**" لأداء الشهادة، فأقبل الأول وحده واعتذر عن زوجته قائلا: إنها ستلحق به بعد قليل. كان الأمير شابًا في مقتبل العمر، طويل القامة، نحيفًا، جذاب المنظر، يرتدي ثوبًا من طراز إنجليزي. وقد بادر "**بوارو**" بالسؤال عن الغرض من استقدامه فقال له هذا:

– لعلك قد علمت يا سيدي بما حدث ليلة أمس. مما اضطرنا إلى سؤال المسافرين للوقوف على بعض المعلومات.

– إنني رهن إشارتك يا سيدي فاسأل ما تريد.

– هل تعرف شخصيَّة القتيل يا سيدي؟ فأجاب الأمير على الفور:

– كلا يا سيدي. ثم أردف بعد لحظة:

– إذا أردت أن تعرف اسمه. فليس عليك إلا أن ترجع إلى جواز سفره.

– إن اسمه في جواز السفر هو "**راتشيت**" . ولكن هذا ليس اسمه الحقيقي.. اسمه الحقيقي هو "**كاسيتي**" . المجرم الإيطالي الذي لعب دوراً مهمًا في قضيَّة

"**أرمستروبخ**" بـ"**أمريكا**" .

ونظر إلى الأمير بحدة ليرى تأثير هذا النبأ عليه، ولكن الأمير ظل محتفظًا بهدوئه وكل ما فعله أنه رفع حاجبه ببطء وقال:

– لا شك في أن هذا مما يساعد على تحقيق الجريمة.

– هل ذهبت إلى "**أمريكا**" يا سيدي الأمير؟

– نعم. إنني قضيت عامًا في "**واشنطن**" .

– هل تعرف أسرة "**أرمستروبخ**" ؟!

– "**أرمستروبخ**" .. "**أرمستروبخ**" .. لا أذكر تمامًا يا سيدي. فقد عرفت في أثناء إقامتي في "**واشنطن**" كثيرا من الأسر الأمريكيَّة الكبيرة.

– متى عدت إلى غرفتك ليلة أمس يا سيدي الأمير؟

– إنني وزوجتي نشغل الغرفتين المتجاورتين 12، 13 . فألقى "**بوارو**" نظرة سريعة على الرسم الذي بين يديه. وأردف الأمير:

– وعندما كنا نتناول طعام العشاء. أمرت ملاحظ عربات النوم بإعداد الغرفتين، ولما فرغنا من الطعام وجدناه لايزال يعد الغرفة رقم 12، فذهبت مع زوجتي إلى الغرفة رقم 13، وهناك أخذنا نتسلى بلعب الورق. وحوالي الساعة الحادية عشرة ذهب كل منا إلى فراشه. وهناك استغرقنا في نوم عميق حتى الصباح.

– هل لاحظت أن القطار تعطل في الطريق؟

– لم ألاحظ ذلك إلا صباحًا.

– وزوجتك؟! فابتسم الأمير وأجاب:

– لقد اعتادت زوجتي أن تتناول بعض العقاقير الطبيَّة لتساعدها على النوم في أثناء السفر. فقدم له "**بوارو**" ورقة وقلمًا. وقال:

– شكرًا لك يا سيدي الأمير. فقط أرجوك أن تتفضل بكتابة اسمك وعنوانك

على هذه الورقة. ثم كتب الأمير اسمه وعنوانه بخط دقيق ثم نهض لينصرف. ولكنه عاد فتردد في مكانه وقال:

– أظن أنه ليس من الضروري استقدام زوجتي؛ فهي لا تستطيع أن تقدم إليكم شيئًا من المعلومات. فلمعت عينا "**بوارو**" وأجاب:

– ومع ذلك أرجو أن تتفضل فتبعث بها إليّ..

– أؤكد لك أنه لا فائدة من استقدامها. وقد نطق بالكلمات الأخيرة بشيء من الحدة. فقال "**بوارو**" بلطف:

– إن مصلحة التحقيق تقضي بسؤال جميع المسافرين بلا استثناء.

– على رسلك. وأحنى قامته باحترام. وانصرف. وهنا بحث "**بوارو**" عن جواز سفر الأمير حتى عثر عليه. فقرأ ما كتب فيه خاصا باسم الأمير، ولقبه، ومنصبه، وهذه الكلمات «ترافقه زوجته واسمها "**إلينا ماريا**" ولقبها "**جولدنبرج**". وعمرها 20 سنة». قال السيد "**بوك**":

– هذا جواز سفر دبلوماسي. أليس كذلك؟ يجب أن تكون حريصًا يا صديقي حتى لا تثير مشكلة دوليَّة. فمن المؤكد أن الأمير وزوجته لا صلة لهما بالجريمة.

– لتهدأ بالا يا عزيزي. سأكون حريصًا لبقًا. وفي هذه اللحظة أقبلت الأميرة "**أندريني**". وكانت تسير ببطء ورأسها الجميل مطرق ومظاهر الاحتشام والخجل تبدو في مشيتها وحركاتها. قالت:

– هل أنتم بحاجة إليّ أيها السادة؟ فأجابها "**بوارو**":

– هذه مجرد إجراءات عادية يا سيدتي الأميرة.

ثم نهض واقفًا باحترام وحذا زميلاه حذوه. وجلست الأميرة على المقعد الذي قدمه إليها البوليس السري. قال لها "**بوارو**":

– لقد دعوتك يا سيدتي لأسألك عما إذا كنت قد رأيت أو سمعت شيئا من

شأنه أن يلقي ضوءا على حادث الأمس؟

– كلا يا سيدي، لم أسمع، ولم أر شيئًا فقد كنت نائمة.

– ألم تسمعي مثلا حركة غير عادية في الغرفة المجاورة لغرفتك؟! لقد أصيبت السيدة التي تقيم في هذه الغرفة بنوبة عصبيَّة فقرعت الجرس بشدة مدة طويلة.

– لم أسمع شيئًا يا سيدي؛ لأنني أتناول بعض العقاقير لمقاومة الأرق.

– آه! هذا حقيقي. إذن لا فائدة من إلقاء أسئلة أخرى. وهنا نهضت الأميرة بسرعة. ولكن "**بوارو**" عاد فاستوقفها بقوله:

– عفواً.. أرجوك البقاء لحظة أخرى. هل البيانات التي ذكرت عنك في جواز السفر صحيحة كلها؟

– نعم يا سيدي.

– هل لديك مانع من كتابة اسمك وعنوانك على هذه الورقة؟ وكتبت اسمها.

– هل رافقت زوجك إلى "**أمريكا**" يا سيدتي؟

– كلا يا سيدي؛ لأننا لم نكن قد تزوجنا بعد. إننا تزوجنا منذ عام واحد.

– شكرًا لك يا سيدتي.. ولكن بهذه المناسبة.. هل زوجك يدخن؟ فنظرت إليه بدهشة ثم أجابت:

– نعم.

– وهل لديه (غليون)؟

– كلا.. إنه يدخن لفافات التبغ.

– شكرًا لك. وكان "**بوارو**" يتوقع أن تنصرف الأميرة بعد ذلك مسرعة، ولكن أدهشه أن رآها لاتزال واقفة أمامه، ورفع إليها عينيه فوجدها تتطلع إليه وفي عينيها الساحرتين نظرة فضول. سألته:

– لماذا ألقيت عليّ كل هذه الأسئلة؟

– ليس من المدهش يا سيدتي أن يلقي البوليس السري أي نوع من الأسئلة، فأنا مثلا يهمني أن أعرف لون وشاحك؟ فازدادت دهشتها، ولكنها ابتسمت وأجابت:

– لونه رمادي! ولكن هل يهمك حقا أن تعرف هذه المعلومات التافهة؟

– يهمني جدا يا سيدتي.

– هل أنت بوليس سري؟

– نعم يا سيدتي. فابتسمت وحيته بعينيها الساحرتين وانصرفت! ولم تكد الأميرة تغيب عن أنظار القوم حتى هتف السيد "**بوك**":

– ما أجمل هذه المرأة! وتنهد ثم أردف:

– هل نستجوب الرجل الإيطالي الذي أرتاب في أنه ارتكب الجريمة؟

فلم يجبه "**بوارو**"؛ لأنه كان لايزال يفحص جواز سفر الأمير الهنغاري.

- 8 -

العقيد "أريتنوت"

نهض "**بوارو**" عن مقعده وأخذ يسير في المكان جيئة وذهابًا. ثم وقف فجأة أمام السيد "**بوك**" وقال له:

– من رأيي أن نبدأ بسؤال العقيد "**أريتنوت**". وجيء بالعقيد.. ووجد "**بوارو**" أن محصوله من اللغة الفرنسيَّة محدود، فشرع في استجوابه باللغة الإنجليزيَّة. ذكر العقيد اسمه ولقبه، وعنوانه، ورتبته في الجيش، وقال إنه عائد من

"**الهند**" إلى "**إنجلترا**" في إجازة. سأله "**بوارو**" :

– لماذا لم تبحر إلى "**إنجلترا**" على إحدى البواخر فتوفر على نفسك متاعب السفر برا؟

– هذا من شأني وحدي.

– وهل كانت رحلتك متصلة؟

– كلا.. بل قضيت ثلاثة أيام في "**بغداد**" في ضيافة صديق لي.

– إنك قضيت ثلاثة أيام في "**بغداد**" وقدعلمت أن الآنسة "**دينهام**" قدمت كذلك من "**بغداد**". فترى هل قابلت هذه الآنسة وعرفتها هناك؟

– كلا. إني رأيتها لأول مرة في القطار بين "**كركوك**" و"**نصيبين**".

– أصغ إليّ يا سيدي إنك والآنسة "**دينهام**" الإنجليزيان الوحيدان في هذا القطار. ويهمني أن أعرف رأي كل منكما في الآخر، فما قولك في الآنسة؟ فأجاب العقيد ببرود:

– هذا سؤال لا مسوغ له.

– كلا يا سيدي. بل يوجد ما يسوغه. فأنا أعتقد أن الجريمة قد ارتكبت بيد امرأة؛ لأن القتيل أصيب باثنتي عشرة طعنة. وليس هذا رأيي وحدي. بل هو كذلك رأي جميع من رأوا الجثة. ولذلك عنيت باستجواب السيدات أكثر من عنايتي باستجواب الرجال. لو كان من السهل استدراج السيدات غير الإنجليزيات، فإنني لم أضطر إلى سؤال أحد من المسافرين عنهن. أما الآنسة "**دينهام**" فإنها إنجليزيَّة، وأنا لا أستطيع الحصول على الكثير من المعلومات من السيدات الإنجليزيات. بل لا أستطيع أن أوقع بإحداهن في التحقيق؛ لأن أجوبتهن مقتضبة.. لذا أهيب بك يا سيدي باسم العدالة أن تصدقنا القول، وأن تكشف لنا عما تعلم عن الآنسة "**دينهام**" :

– إن الآنسة "**دينهام**" لا تعرف القتيل ولم يسبق لها أبداً أن رأته.

– هل قالت لك ذلك؟

– نعم.. فإننا تحدثنا عنه مرة بمناسبة نفورها من منظره. وأنا أؤكد لك أنه من المستحيل أن يكون للآنسة "**دينهام**" صلة أو شبه صلة بهذه الجريمة.

– نحن نعتقد أن هذه الجريمة ارتكبت في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف ليلة أمس. فمن واجباتنا العاديَّة في مثل هذه الحالة أن نسأل كل مسافر عما كان يفعل وقت وقوع الجريمة.

– هذا حقيقي.. فإذا كان يهمك أن تعرف ماذا كنت أفعل في ذلك الوقت فاعلم أنني كنت أتحدث إلى ذلك الشاب الأمريكي سكرتير القتيل في غرفته.

– هل هو من أصدقائك؟

– كلا.. فأنا لم أره قبل هذه الرحلة. لقد وجدت أن له آراء عجيبة في سياسة "**بريطانيا**" في "**الهند**"، ولما كنت قد أمضيت ثلاثين عاماً في "**الهند**"، وأعلم من شئونها أكثر مما يعلم غيري، فقد أوضحت له حقيقة الموقف في "**الهند**"، فلذ له حديثي، كما لذ لي. حدثته عن الحالة الماليَّة في "**أمريكا**". وبعد ذلك تحدثنا عن الحالة السياسيَّة بصفة عامة، وكانت دهشتي عظيمة حين نظرت أخيراً إلى ساعتي فوجدتها الثانية إلا ربعا. فقصدت تواً إلى غرفتي واستلقيت في فراشي.

– وهل كان الخادم قد أعد لك فراشك؟

– نعم..

– أين كان ملاحظ المركبة عندما قصدت إلى غرفتك؟

– كان جالساً أمام طاولة صغيرة، وقد اتفق أن دعاه السيد "**ماكوين**" بمجرد انصرافي من غرفته.

– لماذا استدعاه؟

– أظن أنه دعاه ليعد له فراشه.

– أرجو الآن أن تفكر مليًّا يا سيدي العقيد، هل تذكر أنك رأيت أحدًا يمر بدهليز المركبة في أثناء وجودك في غرفة السيد "**ماكوين**"؟

– أظن أن كثيرين مروا بالدهليز، ولكني لم أهتم بمراقبتهم.

– يهمني كثيرًا أن أعرف إن كنت قد رأيت أحدًا يمر بالدهليز بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد منتصف الليل. تذكر جيدًا يا سيدي. فقطب العقيد حاجبيه. وأطرق برأسه وصمت لحظة، وعلى وجهه علامات التفكير العميق. ثم عاد فرفع رأسه وأجاب:

– أؤكد لك أنني لا أستطيع أن أذكر شيئًا؛ لأنني لا أهتم بمراقبة الناس. ولكن صبرًا.. أذكر أنني رأيت سيدة.

– رأيت سيدة في مقتبل العمر؟

– لم أر وجهها ولكني لاحظت مرورها. وشممت رائحة.

– رائحة عطريَّة؟ ما نوعها؟

– لا أعلم على وجه التحقيق. ولكنها كانت رائحة قويَّة من النوع الذي يصل إلى الخياشيم على بعد مائة متر. كذلك لا أستطيع أن أحدد بالضبط الوقت الذي رأيتها فيه. هناك كما تعلم بعض أشياء يراها الإنسان ولا يلاحظها أو بمعنى آخر، يراها ولا يلقي إليها بالا. وقد رأيت هذه السيدة. ولكني لا أذكر هل كان ذلك في المساء أو بعد منتصف الليل كلا، كلا.. لقد تذكرت الآن أنني رأيتها بعد أن غادر القطار محطة "**فنكوفكي**".

– وما الذي يجعلك تجزم بذلك؟

– لقد كان آخر موضوع تناوله الحديث بيني وبين السيد "**ماكوين**". هو مشروع

السنوات الخمس في "**روسيا**" السوفيتيَّة. وأتذكر أن مرور هذه السيدة ووصول تلك الرائحة الطيبة إلى خياشيمي. لفتا نظري في تلك اللحظة إلى مركز النساء في "**روسيا**" السوفيتيَّة. فدار الحديث.

– ألا تستطيع أن تحدد الوقت بالضبط؟

– كلا. ولكني أستطيع أن أذكر لك أن ذلك كان في نصف الساعة الأخيرة قبل انصرافي من غرفة "**ماكوين**".

بيني وبين "**ماكوين**" في هذا الموضوع.

– حسنًا. والآن حدثني يا عقيد". هل سبق لك أن سافرت إلى "**أمريكا**"؟!

– كلا.

– هل عرفت في حياتك شخصًا يدعى العقيد "**أرمسترونج**"؟

– "**أرمسترونج**".. "**أرمسترونج**"؟ إنني عرفت اثنين أو ثلاثة يحملون اسم "**أرمسترونج**"، الضابط بالأورطة الستين فهل تعني هذا الضابط؟ وعرفت كذلك "**شلبي أرمسترونج**" الذي قتل في موقعة "**السوم**".

–أنا أعني العقيد "**أرمسترونج**" الذي اقترن بسيدة أمريكيَّة. وخطف بعض الأشقياء ابنته وفتكوا بها.

– آه! إنني أتذكر أنني قرأت عن حادث من هذا القبيل. كان حادثًا مخيفًا.. إنني سمعت عن هذا العقيد. ولكني لم أقابله. إنه يدعى "**توبي أرمسترونج**". وكان المعروف عنه أنه رجل دمث الخلق، محبوب من عارفيه.

– إن الرجل الذي قتل في هذا القطار ليلة أمس هو بعينه المجرم الذي اختطف ابنة العقيد "**أرمسترونج**" وفتك بها. فقطب "**أريتنوت**" حاجبيه وقال:

– إذن فقد نال هذا الشقي جزاءه.. على الرغم من أنني كنت أوثر أن تناله يد العدالة فيشنق، أو يعدم على الكرسي الكهربائي.

– حسنًا يا عقيد. أنا أشكرك وأعتقد أنه لا يوجد ما يستوجب إلقاء أسئلة أخرى عليك. ولكن أخبرني.. ألا تذكر أي حادث أو أية ظاهرة لفتت نظرك أمس. ففكر العقيد طويلا ثم أجاب:

– الواقع أنني لاحظت ملاحظة قد تكون تافهة.. ولكنها لفتت نظري فأنا أذكرها لك لعلك تجد فيها ما يفيدك.

– ما هي؟.. قل، تكلم..

– عندما عدت إلى غرفتي بعد الحديث الذي دار بيني وبين السيد "**ماكوين**" لاحظت أن الغرفة المجاورة لي أعني الغرفة الأخيرة..

– تعني الغرفة رقم 16؟

– نعم. لاحظت أن بابها مفتوح قليلا، ورأيت رأسًا يطل منه. فلم أكد أقترب منه حتى فزع صاحب الرأس. وتراجع بسرعة وأغلق الباب في الحال.

– ثم..

– لا شيء أكثر من ذلك. فالمسألة تافهة كما قلت لك. وقد ذكرتها إراحة لضميري..

– هل تدخن سيجاراً يا عقيد؟

– بل أدخن غليونًا.

– هذا حسن.. أشكرك. وانصرف. وظل "**بوارو**" في مكانه يفكر. ثم قال:

– عرفنا منه أنه يدخن غليونًا.. وقد وجدنا في غرفة "**راتشيت**" (فرشاة) لتنظيف الغليون مع أن "**راتشيت**" نفسه يدخن لفافات التبغ.

– هل تعتقد أن..؟

– إنه الشاهد الوحيد الذي اعترف بأنه يدخن غليونا. وهو كذلك الشاهد الوحيد الذي قرر أنه يعرف شيئًا عن العقيد "**أرمسترونج**". ومن المؤكد أنه كان

يعرفه معرفة وثيقة. ولكنه تجنب التصريح بهذه الحقيقة.

– هل يمكن أن يكون هو الذي؟

– كلا، كلا. ذلك مستحيل. مستحيل أن يقدم رجل محترم على قتل عدوه بهذه الطريقة الوحشيَّة. إن الجريمة التي وقعت في هذا القطار تحمل طابعًا معينًا.. ولكنه ليس طابع العقيد "**أريتنوت**"..

- 9 -

البوليس السري

استقدم "**بوارو**" آخر ركاب الدرجة الأولى. وهو رجل أمريكي يدعى "**هاردمان**" فأقبل هذا الرجل وهو باسم الثغر. وسأل "**بوارو**" عما يريد فقال له هذا:

– لعلك تعلم يا سيدي أن جريمة ارتكبت في هذا القطار. وأن الضرورة تقضي باستجواب جميع المسافرين.

– هذا طبيعي. فألقى "**بوارو**" نظرة سريعة على جواز سفر الرجل وقال له:

– أنت تدعِى "**بتمان هاردمان**"، أمريكي الجنسيَّة، في الحادية والأربعين من العمر، ومهنتك مندوب متنقل لبيع أشرطة الآلات الكاتبة؟

– نعم..

– هل كنت تزمع السفر إلى "**باريس**"؟

– نعم..

– لماذا؟

– لأسباب تتعلق بأعمالي.

– هل كنت تسافر دائمًا في مركبات الدرجة الأولى؟

– نعم يا سيدي. والشركة التي أعمل لحسابها تدفع جميع النفقات.

– لنتحدث الآن في موضوع الجريمة التي ارتكبت أمس. فهل لديك ما تقوله فيها يا سيد "**هاردمان**"؟

– عفوًا أيها السادة. هل تسمحون لي أن أسألكم من أنتم؟ وبأية صفة تستجوبون المسافرين؟ فأجابه "**بوارو**":

– هذا السيد "**بوك**" مدير شركة عربات النوم، وهذا هو الطبيب الذي فحص جثة القتيل.

– وأنت؟

– أنا "**بوارو**" البوليس السري، وقد كلفني مدير شركة عربات النوم بتحقيق الجريمة التي وقعت في إحدى عربات هذا القطار.

– إنني سمعت عنك يا سيد "**بوارو**". وأظن أنني أستطيع أن أتحدث إليك بصراحة. فأقول إنني لا أعرف شيئًا يمكن أن يفيدك في التحقيق، ومما يحزنني حقًّا أنني لا أعرف، في الوقت الذي كان يجب عليّ فيه أن أعرف كل شيء.

– أرجو أن توضح ما تقول يا سيد "**هاردمان**".

فلم يجب "**هاردمان**" ولكنه دس يده في جيبه ولاحظ "**بوارو**" أن سحنة الرجل قد انقلبت فجأة وظهرت على وجهه دلائل الجد وقال:

– إن جواز السفر الذي بين يديك هو جواز مزيف. أما اسمي الحقيقي فتجده على هذه البطاقة.

ووضع أمام "**بوارو**" بطاقة. فنهض السيد "**بوك**" واقفًا وانحنى فوق كتف "**بوارو**" وقرأ في البطاقة:

« "**س. ب. هاردمان**". بوليس سري. "**نيويورك**" ». قال "**بوارو**":

– هل أنت بوليس سري خاص يا سيد "**هاردمان**"؟ أعني هل تعمل لحسابك؟

– كلا، بل أعمل لحساب شركة "**ماكنيل**". وكان "**بوارو**" قد سمع باسم هذه الشركة الأمريكيَّة التي تقوم بأعمال البوليس السري فقال:

– هل تستطيع أن تذكر لي لماذا تسافر متنكرًا؟

– بكل تأكيد.. لقد كنت أطارد اثنين من الأشقياء وانتهت مهمتي في "**إسطنبول**"، حيث تمكنت من إلقاء القبض على الشقيين وتسليمهما إلى السلطات المحليَّة. وقبل أن أخطو خطوة أخرى. أبرقت إلى شركة "**ماكنيل**" في طلب تعليمات جديدة، فأصدرت الشركة أمرها لي بالعودة إلى "**نيويورك**". وبينما كنت أتأهب للسفر جاءني هذا الخطاب. وقدم إلى "**بوارو**" خطابًا يحمل اسم فندق "**توكاتليان**". فقرأ "**بوارو**" في الخطاب ما يلي:

« سيدي العزيز

علمت أنك تعمل لحساب شركة "**ماكنيل**" المشهورة في "**نيويورك**"، ولذا أرجوك التكرم بمقابلتي في غرفتي بالفندق في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم ».

الإمضاء: "**راتشيت**"

قال السيد "**هاردمان**":

– وقد قصدت إلى غرفة "**راتشيت**" في الوقت المحدد. فأوضح لي الرجل موقفه في صراحة وقدم إليّ رسالتي تهديد وصلتاه أخيرًا. وعرض عليّ أمرًا. هو أن أسافر معه في القطار إلى "**باريس**"؛ لكي أسهر على سلامته وقد اتفقت معه على ذلك.

وسافرت في ذات القطار كما ترون. وعلى الرغم من يقظتي وسهري على سلامته فإن أيدي أعدائه قد نالته وأنا لذلك جد حزين؛ لأن الحادث في ذاته يؤثر على مركزي شخصيا.

– هل ذكر لك مهمتك بالتفصيل؟!

– بالتأكيد.. طلب إليّ أولا أن أشغل الغرفة المجاورة لغرفته، ولكن القطار كان للأسف غاصًا بالمسافرين. فلم أجد مكانًا خاليًا غير الغرفة رقم 16. وذلك مما زاد متاعبي؛ لأنني كنت مضطرًا إلى مراقبة دهليز المركبة ليلا ونهاراً.

– هل لديك أية فكرة عن القاتل؟ أعني هل ذكر لك السيد "**راتشيت**" شيئًا عن أوصاف الشخص الذي كان يتعقبه ويريد أن يفتك به؟

– نعم. إنني أستطيع أن أتصور شكله. فقد وصفه لي السيد "**راتشيت**". وهنا أرهف الرجال الثلاثة آذانهم ليسمعوا أوصاف القاتل ومضى "**هاردمان**" في حديثه فقال:

– لقد وصفه لي بأنه رجل قصير القامة، أسمر اللون، له صوت كأصوات النساء.

هذا ما قاله السيد "**راتشيت**". وقد قال لي فضلا عن ذلك إنه لا يتوقع أن يحدث الاعتداء على حياته في الليلة الأولى، وإن هذا الاعتداء ربما يحدث في الليلة الثانية أو الثالثة. فقال السيد "**بوك**":

– لابد أنه كان يعرف شيئًا عن نيات غريمه. فقال "**بوارو**":

– نعم. لابد أنه كان يعرف أكثر مما قال لسكرتيره.

– ولكن أخبرني، هل كنت تعرفه على حقيقته؟

– من تعني؟

– أعني "**راتشيت**".. هل كنت تعرفه على حقيقته؟

– الحق أنني لا أستطيع أن أفهمك.

– إن "**راتشيت**" هو "**كاسيتي**" الذي اختطف ابنة العقيد "**أرمسترونج**" وفتك بها. ففتح "**هاردمان**" فمه وعينيه وحملق إلى محدثه بدهشة ثم غمغم:

– إذا كان الأمر كما تقول وكان "**راتشيت**" هو "**كاسيتي**" حقًّا. فليس من المدهش في شيء أن يكون هذا الشقي قد قتل؛ لأن كثيرين يطلبون دمه.

– هل تعرف من بين الأشخاص الذين لعبوا دوراً في حادث ابنة العقيد "**أرمسترونج**" رجلا قصير القامة، أسمر الوجه، يتكلم بصوت كأصوات النساء.

– لا أستطيع أن أجد جوابًا عن هذا السؤال. ولكنني أعتقد أن جميع الذين كان لهم اتصال بحادث الاختطاف قد ماتوا.

– لا تنس أن من بين ضحايا هذا الحادث فتاة انتحرت بإلقاء نفسها من النافذة.

– صدقت. وهذه مسألة لها أهميتها. وقد كانت هذه الفتاة أجنبيًّة. فلا يبعد أن يكون أحد أقاربها ممن لا نعرفهم ولم نقرأ عنهم في الصحف بمناسبة حادث الاختطاف أراد أن يثأر لها.

– حسنًا. أرجو أن تتم قصتك يا سيد "**هاردمان**".

– ليست هناك قصة. كل ما أستطيع أن أقوله هو إنني كنت أنام طوال النهار، وأسهر الليل لحراسة "**راتشيت**".

وقد مرت الليلة الأولى دون أن يقع ما يثير ريبتي. وكذلك مرت ليلة أمس، فإنني قضيت الليل كله بجوار الباب. فلم أر أجنبيا يدخل المركبة أو يقترب من غرفة "**راتشيت**".

– هل أنت واثق بما تقول يا سيد "**هاردمان**"؟

– كل الثقة . وأستطيع أن أقسم بأن أحدًا من الخارج لم ينفذ إلى القطار، وأن أحدا من ركاب الدرجة الثانية لم يدخل المركبة التي قتل فيها "**راتشيت**" .

– هل كان في مقدورك وأنت في غرفتك أن ترى ملاحظ المركبة؟

– بكل تأكيد؛ لأنه يقضي وقت الراحة في مقعد مجاور لباب غرفتي.

– وهل ترك مقعده بعد أن غادر القطار محطة "**فنكوفكي**" ؟

– "**فنكوفكي**" هي آخر محطة وقف بها القطار أليس كذلك؟ إذن فاصغ إليّ أحدثك بما فعله ملاحظ المركبة. إنه سمع اثنين من المسافرين يقرعان الجرس ويدعوانه. فلبى الدعوة في الحال. وقد كان ذلك– على ما أعتقد– بعد أن تعطل القطار بسبب تراكم الجليد. فأطرق "**بوارو**" برأسه ثم أخذ يعبث بالأوراق التي بين يديه وأخيرا قدم إلى "**هاردمان**" ورقة وقال له:

– أرجو أن تتفضل فتكتب اسمك وعنوانك على هذه الورقة. فأطاع "**هاردمان**" وسأله "**بوارو**" :

– هل يوجد بالقطار من يؤيد دعواك ويعاونك على إثبات شخصيتك؟

– بالقطار؟ لا أظن أنه يوجد أحد فيما عدا "**ماكوين**" بالتأكيد. فأنا أعرفه حق المعرفة وقد رأيته مرارا في مكتب والده بـ"**نيويورك**"، ولكن ليس معنى ذلك أنه يستطيع أن يعرفني أو يتذكرني. كل ما تستطيع عمله لتستوثق بصدقي هو أن تبرق إلى شركة "**ماكنيل**" بـ"**نيويورك**" وتنتظر الرد. إنما يجب أن تعتقد بأنني لم أذكر غير الصدق. ولم أقل غير الحقيقة. وهنا قدم إليه "**بوارو**" لفافة تبغ. وعندما هم "**هاردمان**" بتناولها. قال البوليس السري البلجيكي:

– لعلك تفضل تدخين الغليون؟ فأجابه "**هاردمان**" على الفور:

– كلا. وتناول لفافة التبغ. وغادر الغرفة.

- 10 -

الرجل الإيطالي

غمز "**بوارو**" بإحدى عينيه وقال:

– لنعمل الآن على إرضاء السيد "**بوك**" ولنستجوب الإيطالي الذي يرتاب صديقنا العزيز في أنه ارتكب الجريمة. وأرسل "**بوارو**" في طلب الرجل الإيطالي واسمه "**أنطونيو فوسكاريللي**"، فجاء في الحال، واجتاز الغرفة بخطى سريعة. كان يجيد الفرنسيَّة فراح "**بوارو**" يستجوبه بهذه اللغة. سأله:

– هل اسمك "**أنطونيو فوسكاريللي**"؟

– نعم يا سيدي.

– وأنت إيطالي الأصل، ولكنك متجنس بالجنسيَّة الأمريكيَّة؟

– نعم يا سيدي فقد وجدت أن ذلك أجدى لي وأصلح لعملي.

– ومهنتك وكيل متنقل لإحدى شركات السيارات؟

– نعم، نعم. وأستطيع أن أقول لك كيف أزاول عملي. ومضى في كلامه فراح يصف كيف وصل إلى "**أمريكا**". وكيف حصل على وظيفته، ثم كيف يؤدي هذه الوظيفة. سأله "**بوارو**":

– هل اتفق لك في أثناء إقامتك بـ"**أمريكا**" أن قابلت القتيل أو عرفته أو قرأت عنه؟

– كلا. لم أقابله في "**أمريكا**". ولكني شعرت عندما رأيته في القطار أنه من أولئك الذين يظهرون غير ما يبطنون. فقد علمتني التجارب أن أقرأ طبائع الناس في وجوههم، وقد قرأت في وجه هذا الرجل أنه مجرم أثيم ذو نفس شريرة تنم

عنها نظراته المخيفة.

– إنك على حق، فهذا الرجل مجرم خطير واسمه الحقيقي هو "**كاسيتي**".

– ماذا تقول؟! "**كاسيتي**".. ألم أقل لك إنني أقرأ طبائع الناس في وجوههم؟

– هل تذكر قضيَّة "**أرمسترونج**"؟

– لا أذكر التفاصيل، ولكنني أذكر اسم "**أرمسترونج**" وأعلم أن الصحف رددت هذا الاسم بمناسبة حادث اختطاف.. صبراً نعم.. نعم.. حادث اختطاف طفلة.

– هل تذكر أنك صادفت أو عرفت أحد أفراد أسرة "**أرمسترونج**"؟

– لا أظن.. ومع ذلك فإنني أقابل في كل عام مئات الآلاف من الناس؛ وسأذكر لك عدد الصفقات التي أبرمتها في العام الماضي لتكون لديك فكرة عن الأشخاص الذين قابلتهم واستطعت.. فقاطعه "**بوارو**":

– أرجوك أن تحدثني عن تحركاتك منذ تناولت طعام العشاء أمس.

– بكل سرور.. إنني أقضي في قاعة الطعام أطول وقت ممكن؛ لأنني أجد لذة في سماع أحاديث المسافرين. ولاسيما أحاديث السيد "**هاردمان**" الأمريكي الذي يبيع أشرطة آلات الكتابة، والذي جلس معي مرارا حول مائدة واحدة. وقد قصدت إلى غرفتي بعد أن تناولت طعام العشاء. فألفيتها خالية؛ لأن ذلك الخادم الإنجليزي المقيت لم يكن في فراشه، ويجب أن تعلم أنني وذلك الخادم نقيم في غرفة واحدة بالدرجة الثانية. وأقول لك الحق إنني لا أطيق معاشرة هذا الرجل فهو يرفض الكلام، ولا يقول غير كلمة (نعم) أو (لا). وقد عاد هذا الرجل من غرفة سيده.. وانتحى ناحية وأخذ يقرأ كتاباً، وبعد قليل أقبل خادم المركبة فرتب فراشينا.

– الفراشان 4، 5.

– نعم.. في المركبة الأخيرة: وفراشي هو رقم 4 أعني الفراش العلوي. تمددت

في فراشي وأخذت أدخن وأقرأ . . أما الرجل الإنجليزي- وأنت تعرف بالتأكيد أنه خادم القتيل- فإنه أصيب فجأة بألم في أسنانه . فاستلقى في فراشه وراح يئن ويتأوه . لم أعبأ به واستغرقت في النوم، ولكنني كنت كلما استيقظت سمعته يئن .

- هل غادر فراشه ليلا؟

- لا أظن أنه غادر فراشه . . ولو أنه غادر الفراش لشعرت بذلك .

- ألم تسمعه يتحدث بما يدل على قلقه وخوفه على حياة سيده؟!

- قلت لك إنه لم يكن يتكلم على الإطلاق، وإنني كنت أنتزع منه كلمتي (نعم) أو (لا) انتزاعا .

- هل تدخن لفافات التبغ أو السيجار أو الغليون؟

- بل أدخن لفافات التبغ. فقدم إليه "بوارو" لفافة تناولها الرجل شاكراً وقال :

- هل تريدون شيئًا آخر؟ إلى اللقاء أيها السادة . أرجو أن نتمكن من الخلاص من كل هذه الثلوج في أقرب وقت، فإنني على موعد في "ميلانو" ، وأخشى أن أصل بعد فوات الوقت .

- 11 -

"ماري دينهام"

قال "بوارو" :

- لنستجوب الآن الآنسة "**دينهام**" . وأقبلت "**ماري دينهام**" في ثوب أسود رشيق. وجلست أمام "**بوارو**" وراحت تنقل بصرها بينه وبين "**بوك**" وفي نظراتها

معنى التساؤل.. سألها "**بوارو**":

– اسمك الآنسة "**ماري هرميون دينهام**" وعمرك 26 سنة؟

– نعم.

– إنجليزيَّة؟

– نعم.

– هل تتكرمين بكتابة اسمك وعنوانك الدائم على هذه الورقة؟ فكتبت اسمها وعنوانها بخط دقيق واضح.

– والآن يا آنسة هل لديك معلومات عن الجريمة التي ارتكبت في هذا القطار؟

– يؤسفني أن أقول لك إنني لا أعلم شيئًا يفيدك في التحقيق. فقد قصدت إلى غرفتي ونمت في ساعة مبكرة.

– هل كانت تربطك بالقتيل روابط صداقة أو معرفة؟

– إنني رأيته للمرة الأولى عندما تناولنا طعام الغداء في هذه القاعة أمس.

– وأي أثر تركه في نفسك؟

– إنني لم ألق بالا إليه.

– ألم يخالجك شعور بأنه شخصيَّة شريرة أثيمة؟

– ربما. أنا لم أفكر في ذلك. ولكني أقول لك في صراحة إنك تضيع وقتك في محاولة لا طائل تحتها لمعرفة شعوري نحو السيد "**راتشيت**"، والواقع أن رأيي في القتيل وشعوري نحوه لا يفيدان بحال في معرفة القاتل.

– هل تعرفين حقيقة السيد "**راتشيت**" يا آنسة؟ فأطرقت برأسها وأجابت:

– نعم. فقد أذاعت السيدة "**هوبار**" الحقيقة على جميع المسافرين.

– وما رأيك في حادث اختطاف طفلة العقيد "**أرمسترونج**"؟

– رأيي أنه كان حادثًا فظيعًا. فنظر إليها "**بوارو**" عن كثب ثم سألها:

– أنت قادمة من "**بغداد**" على ما أعتقد يا آنسة؟

– نعم.

– ماذا كنت تصنعين في "**بغداد**"؟

– كنت أشتغل مربيَّة.

– وهل تعودين إلى عملك بعد هذه الإجازة التي ستقضينها في "**لندن**"؟

– لا أعلم على وجه التحقيق.

– ما رأيك في الآنسة "**أولسون**" التي تشغل فراشًا في غرفتك؟

– يلوح لي أنها مخلوقة طيبة القلب ساذجة.

– ما لون الوشاح الذي ترتديه؟ فنظرت إليه الفتاة بدهشة ولكنها أجابت:

– إنها ترتدي وشاحًا سنجابي اللون. مصنوعًا من الصوف الطبيعي.

– لقد لاحظت في الطريق بين "**حلب**" و"**إسطنبول**" أنك ترتدين وشاحًا أصفر اللون أليس كذلك؟ أرجو ألا يكون في كلامي ما يخدش شعورك.

– كلا على الإطلاق.

– هل تمتلكين وشاحًا آخر لم أره؟ وشاحًا أحمر اللون مثلا؟

– كلا. فالوشاح الأحمر ليس وشاحي.

فانحنى "**بوارو**" إلى الأمام بحدة. وكان في جلسته في تلك اللحظة أشبه بقط يتأهب للانقضاض على فأر. سألها:

– وشاح من إذن؟

– لا أعلم. ولكن ماذا تعني؟!

– لقد سألتك هل تمتلكين وشاحًا أحمر اللون، فلم تقولي (كلا أنا لا أملك وشاحا بهذا اللون) بل قلت (كلا فالوشاح الأحمر ليس وشاحي)، ومعنى ذلك أنك تعلمين شيئًا عن الوشاح الأحمر وصاحبته، فهل هو وشاح سيدة أخرى في

هذا القطار؟

– نعم..

– ومن هي؟

– قلت لك إنني لا أعرف. لقد استيقظت في الساعة الخامسة من صباح اليوم، وخالجني شعور بأن القطار قد تعطل عن السير منذ مدة طويلة، ثم فتحت باب غرفتي وأرسلت بصري إلى الدهليز لأرى هل وقف القطار في إحدى المحطات، وعندئذ شاهدت في نهاية الدهليز سيدة ترتدي وشاحا أحمر اللون.

– ألا تعرفين هذه السيدة؟ هل رأيت رأسها؟ ألا تذكرين إن كانت شقراء أو سمراء أو متقدمة في السن؟

– لا أعلم.. فإنها كانت تضع على رأسها قلنسوة تخفي شعرها.

– وقوامها؟

– كانت طويلة القامة نحيفة. ولكن ليس من السهل معرفة عمرها.

– والوشاح؟

– كانت عليه صورة تنين.

– صورة تنين.. هذا صحيح. هذا صحيح. وأطرق برأسه. وفكر لحظة. ثم قال:

– شكرًا لك يا آنسة، هذا كل ما أردت معرفته. فنظرت إليه الفتاة بدهشة؛ لأنها كانت تتوقع سيلا من الأسئلة، فلما سمعته يقول ذلك نهضت في الحال، وسارت نحو الباب. وهناك ترددت لحظة. ثم عادت أدراجها وقالت تحدث "**بوارو**":

– إن الآنسة السويديَّة أعني الآنسة "**أولسون**" أليس هذا اسمها؟ أقول إنها في أشد حالات القلق والخوف؛ لأنك أفهمتها أنها آخر من رأى السيد "**راتشيت**" على قيد الحياة، فهي تعتقد أنك ترتاب فيها، فهل أستطيع أن أقول لها إنها مخطئة فيما ذهبت إليه؟ قالت ذلك وهي تبتسم، فسألها "**بوارو**":

– كم كانت الساعة عندما قصدت هذه السويديَّة إلى غرفة السيدة "**هوبار**" ودخلت غرفة "**راتشيت**" خطأ؟

– كأن ذلك بعد منتصف الساعة الحادية عشرة بقليل.

– وهل غابت عن الغرفة كثيرًا؟

– خمس دقائق لا أكثر. فالتفت "**بوارو**" إلى الطبيب "**قسطنطين**" وسأله:

– هل يحتمل أن تكون الجريمة قد ارتكبت حوالي منتصف الساعة الحادية عشرة؟

– كلا. فقال "**بوارو**" محدثًا الآنسة "**دينهام**" السويديَّة.

– إذن تستطيعين أن تطمئني صديقتك يا آنسة.

– شكرًا لك. وابتسمت ابتسامة عذبة وغادرت الغرفة.

- 12 -

الوصيفة الألمانيَّة

نظر السيد "**بوك**" إلى صديقه "**بوارو**" في فضول وقال:

– هل ترتاب فيها؟ لماذا؟ يخيل إليّ أن هذه الصبيَّة الحسناء هي آخر من يفكر في ارتكاب جريمة بشعة كالتي نحن بصددها. وقال الطبيب:

– وأنا أوافقك على ذلك يا سيد "**بوك**". إنها– في الواقع– فتاة جامدة العاطفة، فهي لا تستخدم الخنجر، ولكنها تلجأ إلى المحاكم في طلب القصاص. فتنهد "**بوارو**" وقال:

– يجب أن تنزعا من ذهنيكما أن تكون الآنسة "**دينهام**" هي التي ارتكبت

الجريمة؛ لأنه يوجد سببان يبرران هذه الريبة: أولهما: أنني سمعت حديثًا دار بينها وبين العقيد "**أريتنوت**" على إفريز إحدى المحطات، قال ذلك وذكر لهما الحديث المقتضب العجيب الذي سمعه في أثناء رحلته من "**حلب**". ولما فرغ من حديثه قال السيد "**بوك**":

– حقًّا.. إنه حديث عجيب يتطلب الإيضاح، وإذا صحت ظنونك كانت هي بلا شك قاتلة "**راتشيت**" بمعونة صديقها العقيد. فاطرق "**بوارو**" برأسه وقال:

– ومع ذلك فإن الحقائق الملموسة لا تؤيد هذا الرأي؛ لأنه لو صح وكانت هي والعقيد "**أريتنوت**" قد ارتكبا هذه الجريمة لالتمس كل لصاحبه مخرجا، بمعنى أننا لو سألنا العقيد أين كان حين ارتكاب الجريمة لزعم أنه كان يتبادل الحديث مع الآنسة "**دينهام**" في غرفتها ولوافقته هي على هذا القول، ولكننا نرى الآن غير ذلك، فالآنسة "**دينهام**" تجد في شهادة الفتاة السويديَّة التي تقيم معها في غرفتها ما يقصي عنها كل شبهة، والعقيد "**أريتنوت**" يجد في شهادة "**ماكوين**" ما يثبت أنه أبعد الناس صلة بهذه الجريمة. فقال "**بوك**":

– ذكرت أن هناك سببين يحملانك على إساءة الظن بالآنسة "**دينهام**" وقد أوردت السبب الأول. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– آه! صدقت.. إن السبب الثاني "**سيكولوجي**" بحت، فأنا واثق بأن عقلا جبارًا رزينًا قد دبر هذه الجريمة، ووجدت في الآنسة "**دينهام**" جميع الصفات التي يجب أن يتصف بها مرتكب الجريمة. ثم تناول جواز السفر الأخير، وقال:

– لنستجوب الآنسة "**هلدجارد شميدث**". فهي آخر من تبقى من المسافرين بلا استجواب.

وأقبلت "**هلدجارد شميدث**". ووقفت بين يدي "**بوارو**" باحترام. طلب إليها أن تجلس. فأطاعت. وجلست أمامه مكتوفة الساعدين. كان يلوح عليها أنها

مخلوقة هادئة، وديعة، ولكن حظها من الذكاء قليل.

وقد لاحظ عليها "بوارو" كل ذلك فلجأ في استجوابها إلى طريقة جديدة، وأبدى معها من اللطف والكياسة ما طمأنها. طلب إليها أن تكتب اسمها وعنوانها. ففعلت ثم دار الحديث بينه وبينها بالألمانيَّة. قال لها:

– بودنا أن نعرف كل ما يمكن معرفته عما وقع ليلة أمس، ونحن نعلم بالتأكيد أنك لا تستطيعين أن تقدمي إلينا معلومات مهمة تتصل بالجريمة ذاتها، ولكن ربما تكونين قد رأيت أو سمعت شيئًا يلقي ضوءاً على الجريمة الغامضة التي ارتكبت في هذا القطار ليلة أمس. هل فهمت ماذا أعني؟ والظاهر أنها لم تفهم ماذا كان يعني؛ لأنها ظلت تنظر إليه في بلاهة. حتى إذا فرغ من كلامه. قالت له:

– أنا لا أعرف شيئًا يا سيدي.

– أصغي إليّ.. هل تعرفين مثلا إن كانت سيدتك قد أرسلت في طلبك ليلة أمس؟

– نعم. إنها أرسلت في طلبي.

– هل تذكرين متى كان ذلك؟

– كلا يا سيدي.. لا أذكر؛ لأنني كنت نائمة حين أقبل الخادم يدعوني.

– وهل اعتادت سيدتك أن تدعوك ليلا؟

– نعم، لأنها تنام نومًا مضطربًا.

– عندما دعاك خادم المركبة لمقابلة سيدتك، هل تدثرت بوشاح؟

– كلا يا سيدي. إنني ارتديت ثيابي كلها في الحال؛ لأنني لا أحب الظهور أمامها بوشاحي.

– وذلك على الرغم من أنه وشاح فاخر جميل ذو لون أحمر. فحملقت إلى وجهه وقالت:

– كلا يا سيدي إنه أزرق اللون.

– آه! إني ذكرت ذلك على سبيل الدعابة فقط.. ولكن أعي حديثك.. تقولين إنك لبيت دعوة سيدتك الأميرة في الحال.. فماذا فعلت في غرفتها؟

– إنها أعطتني كتابا. وطلبت إليّ أن أتلو فيه بصوت مرتفع ففعلت. وما زلت أقرأ وسيدتي الأميرة تستمع إلى أن غلبها النعاس، فأمرتني بالانصراف فأطعت وعدت إلى غرفتي.

– هل تذكرين كم كانت الساعة؟

– كلا يا سيدي.

– حسناً كم ساعة قضيت في غرفة الأميرة؟

– نصف الساعة.

– ألم تقابلي أحدا في دهليز المركبة في أثناء عودتك إلى غرفتك؟

– كلا يا سيدي.

– ألم تقابلي مثلا سيدة ترتدي وشاحا أحمر تزينه صورة تنين كبير؟

– كلا يا سيدي. إنني لم أر في دهليز المركبة سوى ملاحظ عربة النوم.

– وماذا كان يفعل الملاحظ؟

– إنني رأيته يغادر إحدى الغرف. فانحنى السيد "**بوك**" إلى الأمام وسأل بحدة:

– ماذا؟ كان يغادر إحدى الغرف؟! أية غرفة؟ فظهرت على وجه الوصيفة علامات الذعر، ونظر "**بوارو**" إلى صديقه نظرة عتاب وقال:

– طبيعي أن يلبي الملاحظ نداء المسافرين وأن يدخل غرفهم. ولكن هل تذكرين يا آنسة من أية غرفة خرج الملاحظ؟

– إنني رأيته يغادر غرفة في وسط المركبة. غرفة تفصل بينها وبين غرفة الأميرة غرفتان أو ثلاث.

– أرجوك أن تتذكري الغرفة بالضبط..

– لا أذكر يا سيدي.. وكل ما أستطيع أن أقوله إنني رأيت الملاحظ يغادر تلك الغرفة مهرولا، حتى أنه اصطدم بي ولكنه اعتذر ومضى في سبيله.

– إلى أين؟

– نحو غرفة الطعام. وفي هذه اللحظة سمعت جرسا يدق، ولكني لا أظن أن الملاحظ قصد إلى غرفة المسافر الذي دق الجرس. وكفت عن الكلام لحظة. ثم عادت فأردفت:

– الواقع أنني لم أفهم كيف.. فقاطعها "**بوارو**" وقال يطمئنها:

– نحن لا نوجه التهمة إلى شخص بعينه. والمسألة فقط هي أنه لابد أن يكون الملاحظ المسكين قد تعب كثيراً ليلة أمس. فقد كان عليه أن يوقظك. ثم كان عليه أن يلبي نداء المسافرين الذين يقرعون الأجراس. فقالت الفتاة الألمانيَّة:

– إن الملاحظ الذي أيقظني هو غير الملاحظ الذي اصطدم بي في رواق المركبة.

– آه! ملاحظ آخر، هل رأيت هذا الملاحظ الآخر قبلا؟

– كلا يا سيدي.

– هل تظنين أنك تستطيعين معرفته إذا وقع بصرك عليه مرة أخرى؟

– أظن ذلك يا سيدي. وهنا همس "**بوارو**" كلمة في أذن السيد "**بوك**". فنهض هذا وسار نحو الباب. وأصدر أمراً. وواصل "**بوارو**" استجواب الوصيفة الألمانيَّة. سألها:

– هل سافرت إلى "**أمريكا**" يا آنسة "**شميدث**"؟

– كلا يا سيدي.. إنني لم أسافر إليها أبداً.. وقد قرأت أنها بلاد جميلة.

– هل عرفت شيئًا عن حقيقة الرجل الذي قتل في هذا القطار؟ وهل اتصل بك أنه لعب دوراً مهمًا في حادث اختطاف طفلة؟

– نعم سمعت شيئًا من ذلك. سمعت أنه اختطف طفلة وقتلها، وتلك في الحق جريمة مفزعة وقد نال جزاءه.

وبعد أن ساد السكون لحظة دس "**بوارو**" يده في جيبه وأخرج منديلا صغيرا. سأل الوصيفة الألمانيَّة.

– هل هذا منديلك يا آنسة "**شميدث**"؟ فتناولت المنديل. وفحصته. وصمتت لحظة. ثم قالت:

– آه، كلا يا سيدي، هذا ليس منديلي

– إنني رأيت في أحد أركانه حرف الهاء، فظننت أنه منديلك.

– كلا يا سيدي. هذا منديل فاخر. لابد أنه لسيدة غنيَّة؛ لأنه مطرز باليد، وأكبر ظني أنه مستورد من "**باريس**".

– إذن فهو ليس منديلك. وأنت لا تعرفين صاحبته؟

– أنا؟! كلا يا سيدي. قالت ذلك. ولكن بعد تردد قليل لم يلاحظه غير "**بوارو**". وهنا عاد السيد "**بوك**" وهمس كلاما في أذن "**بوارو**"، فأطرق هذا برأسه ثم قال محدثًا المرأة الألمانيَّة:

– سيحضر الملاحظون الثلاثة الآن. فهل تتكرمين بإرشادي إلى الملاحظ الذي اصطدم بك أمس في أثناء خروجك من غرفة سيدتك الأميرة؟ ودخل الملاحظون الثلاثة: وهم "**بيير ميشيل**"، وملاحظ مركبة "**أثينا**"، ثم ملاحظ مركبة "**بوخارست**". فنظرت إليهم "**شميدث**" الواحد بعد الآخر ثم هزت رأسها في الحال وقالت:

– كلا يا سيدي.. إن الرجل الذي اصطدم بي أمس ليس بين هؤلاء. دهش "**بوارو**" وقال:

– ولكن ليس بالقطار غير هؤلاء، لابد أنك مخطئة.

– كلا يا سيدي، إنني واثقة بما أقول، الثلاثة طوال القامة، أما الرجل الذي رأيته في دهليز المركبة أمس فإنه كان قصير القامة، أسمر الوجه، له شارب قصير.. وعندما اصطدم بي. وقال لي: «أرجو المعذرة يا سيدتي» لاحظت أنه يتكلم بصوت كأصوات النساء!

- 13 -

النتيجة

تبادل الرجال الثلاثة– "**بوارو**" و"**بوك**" والطبيب– نظرة ذات معنى. وغمغم "**بوك**" قائلا:

– رجل قصير القامة، أسمر الوجه، يتكلم بصوت كأصوات النساء!

انصرفت "**هلدجارد شميدث**" والملاحظون الثلاثة، ونظر "**بوك**" إلى صديقه "**بوارو**" نظرة تنم عن اليأس والحيرة وقال:

– في الحق، إنني لا أستطيع أن أفهم شيئا. نعم لا أستطيع أن أفهم شيئًا على الإطلاق.

– لقد كان غريم "**راتشيت**" في هذا القطار. هذا أمر لاشك فيه بعد أن سمعت شهادة هذه الوصيفة الألمانيَّة. ولكن أين هو الآن؟ وكيف ركب القطار؟ وكيف تلاشى في الهواء بهذه السرعة؟ إن رأسي يدور. فأرجوك أن تقول شيئًا يا صديقي.. أتوسل إليك أن تقول شيئًا، وأن توضح لي كيف أمكن أن يصبح المستحيل ممكنا؟ فقال "**بوارو**":

– إن المستحيل لا يصبح ممكنا بحال، وإذن لم يكن ثمة شيء مستحيل. وما

حدث أمس ليس من المستحيلات .

– إذن أوضح لي بسرعة ماذا حدث في هذا القطار ليلة أمس؟

– إنني لست ساحراً يا عزيزي، فأنا مثلك رجل عادي يشعر من الحيرة أمام هذه المعميات والألغاز بمثل ما تشعر. وربما بأكثر مما تشعر. ومع ذلك فإنني أعتقد أننا نقترب من الحقيقة بخطوات واسعة. وسعل "**بوارو**" وصمت لحظة ثم مضى في حديثه قائلا :

– هلموا بنا نستعرض الحادث كما يبدو لنا الآن. من الحقائق الثابتة أن "**راتشيت**" . أو "**كاسيتي**" أصيب أمس باثنتي عشرة طعنة وأسلم الروح، هذه هي الحقيقة الأولى. أليس كذلك؟! فأجاب "**بوك**" في تهكم:

– إنني أعترف لك بهذه الحقيقة الأولى. فلم يعبأ "**بوارو**" بتهكم صاحبه واستطرد :

– سأتجاوز الآن عن بعض ظواهر خاصة جرت حولها مناقشة بيني وبين الدكتور "**قسطنطين**" . ولكنني سأعود إلى هذه الظواهر بعد قليل. لقد ذكرت لكما الآن الحقيقة الأولى، أما الحقيقة الثانية المهمة فهي في اعتقادي (الوقت الذي وقعت فيه الجريمة) . أمامنا الآن ثلاثة احتمالات خاصة بالوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة :

أولا : أن تكون الجريمة ارتكبت في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل. والأدلة على ذلك ساعة القتيل، وشهادة السيدة "**هوبار**" ، والوصيفة الألمانيَّة "**هلدجارد شميدث**" ، وتقرير الدكتور "**قسطنطين**" .

وثانيًا : أن تكون الجريمة ارتكبت بعد هذا الوقت. فتكون الساعة دليلا زائفا دس علينا للتغرير بنا .

وثالثًا : أن تكون الجريمة قد ارتكبت قبل هذا الوقت. ويكون دليل الساعة ملفقا للسبب المذكور آنفا .

فإذا نحن سلمنا بالاحتمال الأول. والأدلة عليه كثيرة، وجب علينا أن نسلم بحقائق أخرى معينة تنهض عليه:

فأولا: إذا كانت الجريمة قد ارتكبت حقا في الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل، تعين علينا أن نسلم بأن القاتل لم يستطع مغادرة القطار حتى الآن؛ لأن القطار تعطل في الطريق، ومتى تقرر ذلك، وجب أن نتساءل أين يوجد القاتل الآن ومن هو؟ لقد عرفنا أوصاف القاتل للمرة الأولى من الرجل الأمريكي المدعو "**هاردمان**"، فقد قال إن القاتل رجل قصير القامة، أسمر الوجه، يتكلم بصوت كأصوات النساء، وإن السيد "**راتشيت**" طلب إليه أن يراقب قدوم هذا القاتل. هذا ما قاله "**هاردمان**". ليس لدينا في الواقع ما يؤيد صدق هذا القول، فضلا عن أن شخصيَّة "**هاردمان**" نفسه لاتزال موضع الريبة والشك؛ لأننا لا نملك الوسائل للتحقق مما إذا كان بوليسًا سريًّا كما يزعم. على أننا لا نملك الوسائل الماديَّة للتحقق والاستنتاج. فأنا الآن أسائل نفسي: هل يجب أن نصدق ما يزعمه "**هاردمان**" عن نفسه؟ ورأيي الخاص، أننا نستطيع أن نصدق أقوال هذا الرجل. إن "**هاردمان**" يحمل جواز سفر مزيفًا. وهذه حقيقة تسيء إلى مركزه؛ لأن أول عمل يقوم به المحققون في مثل هذه الحالة هو حجزه والاتصال بـ"**نيويورك**" للتحقق من شخصيته.

– أنت إذن تعتقد بأنه فوق الشبهات؟

– كلا.. أنا لم أقل ذلك، إنما قلت إن الرجل لم يكذب حين قال إنه بوليس سري خاص يعمل لحساب إحدى الشركات.. ولا أستطيع أن أقطع فيه برأي، إذن من يدري، فربما كان له غرض خاص في قتل "**راتشيت**".

أما قوله بأن "**راتشيت**" أناط به مهمة حراسته. فأمر غير قابل للشك؛ لأن "**هلدجارد شميدث**" قد وصفت القاتل كما وصفه "**راتشيت**" نفسه على لسان

"**هاردمان**" . فقال "**بوك**" :

- كل هذا حسن. فالقاتل هو ذلك الرجل القصير القامة الذي وصفه "**هاردمان**" . ورأته "**هلدجارد شميدث**" . ولكن أين ذهب القاتل بعد أن ارتكب جريمته؟ فهز "**بوارو**" رأسه وقال :

- إنك تضع العربة أمام الجواد ذلك؛ لأنني قبل أن أبحث «وأين اختفى هذا الرجل» يجب أن أسأل : هل لهذا الرجل وجود على الإطلاق؟ لأن هذا الرجل إذا كان (خياليا) أعني من ابتكارات "**هاردمان**" و"**هلدجارد شميدث**" . كان من السهل جدا اختفاؤه. وإذن يجب أن نتأكد أولا من أن هذا الرجل موجود حقا.

- ولكن أين هو الآن؟

- يوجد جوابان لهذا السؤال : فإما أن يكون هذا الرجل لايزال مختبئًا بالقطار في مخبأ عجيب لا نعرف مكانه، وإما أن يكون قد تنكر حتى غاب عن "**راتشيت**" معرفته بين المسافرين.. وفي هذه الحالة الأخيرة يكون القاتل لايزال موجوداً في القطار بين المسافرين. فمن هو؟ نحن نعلم عنه أنه قصير القامة. فإذا استعرضنا أمامنا جميع المسافرين وجدناهم جميعًا طوال القامة. ما عدا خادم "**راتشيت**" نفسه.. ولكن هناك ملاحظة جديرة بالذكر. لقد قيل عن القاتل إنه يتكلم بصوت كأصوات النساء. ومن هذا نستنتج أحد أمرين : إما أن يكون القاتل رجلا متنكراً في زي امرأة، وإما أن تكون امرأة متنكرة في زي رجل.

- إذا كان الأمر كذلك لوجب أن يلفت "**راتشيت**" نظر "**هاردمان**" إلى هذه الحقيقة.. إنه قال له إن غريمه رجل، ولم يقل إنه امرأة متنكرة في زي رجل.

- يحتمل أن تكون هذه المرأة قد اعتدت على "**راتشيت**" قبل الآن وهي مرتديّة ملابس الرجال، فظن "**راتشيت**" أنها ستعيد الكرة وهي بملابس الرجال كذلك؛ لأنه قال لـ"**هاردمان**" إن غريمه رجل، ولكنه أضاف إلى ذلك قوله إن هذا الغريم

يتكلم بصوت كأصوات النساء. ثم تحدث بإسهاب عن ملاحظاته وعقب الدكتور "**قسطنطين**" على إصابة القتيل ودلالتها فهتف السيد "**بوك**":

– يا لله إذن يوجد بالقطار قاتلان! فقال "**بوارو**":

– نعم أحدهما رجل والآخر امرأة. وقد شوهد الاثنان في القطار ليلة أمس. شوهد الرجل مرتديًا ثياب موظف بشركة عربات النوم. وكانت أوصافه تنطبق تماما على الأوصاف التي ذكرها السيد "**هاردمان**" على لسان القتيل. والذين شاهدوه هم "**هلدجارد شميدث**" وصيفة الأميرة الروسيَّة، والعقيد "**أريتنوت**" والسيد "**ماكوين**" سكرتير القتيل.

أما المرأة فإنها طويلة القامة، نحيفة. وقد شوهدت مرتديَّة وشاحا أحمر اللون والذين رأوها هم "**بيير ميشيل**" ملاحظ عربات النوم، والآنسة "**ماري دينهام**" و"**ماكوين**" وقد شاهدتها بدوري، أما العقيد "**أريتنوت**" فقد امتلأت خياشيمه بالرائحة العطريَّة التي كانت تنبعث من ثياب هذه المرأة.

ولكن من هذه المرأة؟ لم نجد بالقطار سيدة واحدة تملك وشاحًا أحمر. وقد اختفت هذه المرأة والمسألة الآن.. هل كانت هذه المرأة هي نفس الرجل الذي شوهد مرتديًا ثياب موظف شركة عربات النوم؟! أو أنها شخصيَّة مستقلة! وإذا كانت شخصيَّة مستقلة بذاتها فأين ذهب الاثنان؟ وأين أخفي الوشاح الأحمر وثوب موظف عربات النوم؟ وهنا وثب "**بوك**" عن مقعده وقال بحدة:

– من السهل جدًّا تحقيق هذه النقطة. يجب أن نشرع في الحال في تفتيش أمتعة المسافرين جميعًا.. بغير استثناء. وقبل أن يتم "**بوك**" كلامه. سمع الرجال الثلاثة ضجة شديدة خارج المركبة. ثم فتح الباب ودخلت السيدة "**هوبار**" وهي تصيح:

– هذا مريع.. هذا مخيف.. لقد وجدت في حقيبتي خنجرًا هائلا ملوثًا بالدم. وترنحت، وأغمي عليها بين ذراعي السيد "**بوك**".

- 14 -

الخنجر

حمل السيد "**بوك**" السيدة الأمريكيَّة، ومددها على المائدة وانطلق مسرعًا في أثر "**بوارو**" الذي وثب إلى الخارج في الحال. أما الدكتور "**قسطنطين**" فكان اهتمامه بالقضيَّة وفضوله إلى معرفة كل جديد فيها أعظم من اهتمامه بالسيدة "**هوبار**". فدعا أحد الخدم. وأرشده إلى ما يجب عمله لإنعاش السيدة. وانطلق بدوره في أثر زميليه.

ووصل الرجال الثلاثة إلى غرفة السيدة "**هوبار**". وهناك وجدوا المسافرين قد احتشدوا أمام الباب. وأحد الخدم يصدهم في رفق محاولا منعهم من اقتحام الغرفة. وشق "**بوارو**" و"**بوك**" والطبيب اليوناني طريقهم بين المسافرين. ودخلوا الغرفة، وهناك أجال "**بوارو**" حوله نظرة سريعة فرأى حقيبة من المطاط أمام الباب الموصل إلى غرفة القتيل. ووجد بجانب الحقيبة خنجرًا ذا نصل طويل. كان خنجرًا رخيصًا من النوع الذي يباع في أسواق الشرق، وكان نصله ملوثًا ببقع تشبه الصدأ. وتناوله "**بوارو**" بخفة وغمغم:

– نعم. لا سبيل للشك. هذا هو الخنجر الذي كنا نبحث عنه. ما رأيك يا دكتور؟ فتناول الدكتور "**قسطنطين**" الخنجر وراح يفحصه بحذر فقال له "**بوارو**":

– لا داعي للحذر؛ لأن الخنجر لا يحمل من بصمات الأصابع غير بصمات السيدة "**هوبار**". وفرغ الطبيب من فحص الخنجر بسرعة وقال:

– نعم. هذا هو الخنجر الذي ارتكبت به الجريمة والذي أحدث جميع الإصابات

التي رأيناها بجثة القتيل. وهو من الخناجر التي تصنع في الشرق وتباع في أسواق "**إسطنبول**" بثمن زهيد.

ونظر "**بوارو**" إلى الباب الذي يفصل بين غرفتي السيدة "**هوبار**" و"**راتشيت**"، ورأى مزلاجًا فحركه وحاول أن يفتح الباب ولكنه لم يفتح. فقال الطبيب:

– لا تنس أننا أغلقنا الباب من الجانب الآخر.

– صدقت. وتغضن جبين "**بوارو**"، وخيل للناظر إليه أنه مستغرق في تفكير عميق. قال "**بوك**":

– من السهل جدا تعليل وجود الخنجر في هذه الحقيبة. فقد نفذ القاتل من الغرفة المجاورة إلى هذه الغرفة مارًا من هذا الباب. ولابد أنه وهو يتلمس الباب في الظلام قد وجد هذه الحقيبة معلقة في المزلاج. فخطر له في الحال أن يتخلص من الأداة الملوثة بالدماء التي ارتكب بها جريمته. فألقى الخنجر في الحقيبة ثم تسلل من الباب الثاني إلى الدهليز. فقال "**بوارو**":

– نعم ذلك ما حدث بالضبط. ولكن علامات الحيرة ظلت مرتسمة على وجهه ونظراته. فقال له "**بوك**":

– ماذا يزعجك؟ يبدو لي أنك غير مرتاح لهذا الإيضاح المعقول. فألقى عليه "**بوارو**" نظرة سريعة وغمغم قائلا:

– هذا صحيح لكن الأمر بسيط على كل حال. وفي هذه اللحظة دخل الموظف الذي كان واقفًا بالباب لمنع المسافرين من اقتحام الغرفة بدافع من الفضول الذي أثاره في نفوسهم صراخ السيدة "**هوبار**"، وقال إن هذه السيدة الأمريكيَّة قد أقبلت وتريد دخول غرفتها.

وهنا شعر الدكتور "**قسطنطين**" بالخجل؛ لأنه ترك السيدة مغشيا عليها ولم يقدم إليها شيئًا من الإسعافات الضروريَّة. قال لها "**بوارو**":

– هل تسمحين لي بتفتيش حقائبك يا سيدتي؟

– لماذا؟

– إننا قررنا تفتيش حقائب المسافرين جميعًا، وبعد، فسوف يسرك بلا شك ألا تجدي في إحدى حقائبك أثرًا مخيفًا آخر من آثار القاتل.. سنفتش أمتعتك ونوفر عليك أية مفاجأة مزعجة أخرى.

– صدقت، إنني أعتقد بأنني قد أجن إذا وقعت بين أمتعتي على أي أثر آخر من آثار القاتل، وأجن إذا اضطررت لقضاء ليلة أخرى في هذه الغرفة. وقد تم تفتيش أمتعة السيدة "**هوبار**" بسرعة. ولم يجد "**بوارو**" بين الأمتعة ما يثير الشبهات. وأصدر السيد "**بوك**" أمره بنقل السيدة "**هوبار**" إلى الغرفة رقم 12.

- 15 -

في البحث عن الأدلة

شكر "**بوارو**" السيدة "**هوبار**" وودعها، وانصرف يتبعه السيد "**بوك**" والدكتور "**قسطنطين**". وعندما انفرد الثلاثة خارج غرفة السيدة "**هوبار**"، قال السيد "**بوك**":

– لقد انتهينا من هذه السيدة بسهولة، ويجب الآن أن نفتش أمتعة المسافرين الآخرين.. ولكن ترى بمن نبدأ؟ فأجاب "**بوارو**":

– المسألة غاية في البساطة، يجب أن نفتش الغرف بالترتيب، ومعنى ذلك أننا سوف نبدأ بالغرفة رقم 16، أي غرفة السيد "**هاردمان**". وقد وجدوا "**هاردمان**" في غرفته يدخن لفافة تبغ، فنهض الرجل لاستقبالهم، ودعاهم إلى تناول القهوة..

فشكره السيد "**بوك**" وأوضح له الغرض من الزيارة. وفتش الرجال الثلاثة حقيبتي السيد "**هاردمان**"، ولم يجدوا بهما شيئًا غير عادي. ومن ثم انتقلوا إلى غرفة العقيد "**أريتنوت**". وجدوه يدخن غليونه، فحدثه "**بوارو**" عن غرضه، فلم يبد الرجل شيئًا من الامتعاض ولكنه قال:

– إنني لا أحمل معي غير هاتين الحقيبتين، أما بقيَّة الأمتعة فقد أرسلت بطريق البحر. وكان العقيد، كسائر رجال الجيش، دقيقًا في حزم الأمتعة، فلم يستغرق تفتيش حقيبته أكثر من دقائق معدودات، وقد عثر "**بوارو**" في إحدى الحقيبتين على حزمة من «فرشاة» تنظيف الغليون، فسأل العقيد:

– ألا تستعمل غير هذا النوع في تنظيف غليونك؟

– إذا وجدت هذا النوع فإنني أستعمله، وإلا فإنني أستعمل أي نوع آخر. فهز "**بوارو**" رأسه وسكت، ولكنه كان قد لاحظ أن ذلك النوع يشبه تمامًا الفرشاة التي وجدت في غرفة القتيل ولكنه لزم الصمت.

وعندما غادر الثلاثة غرفة العقيد، لاحظ الدكتور "**قسطنطين**" نفس الملاحظة، فهز "**بوارو**" كتفيه وقال:

– مازلت أعتقد أن العقيد لم يرتكب هذه الجريمة. ولم يجد الثلاثة في أمتعة المسافرين بمركبة الدرجة الأولى ما يفيد التحقيق، فانتقلوا إلى مركبات الدرجة الثانية، وكانت تقيم بالغرفة الأولى كل من "**ماري دينهام**" والسيدة السويديَّة "**جريتا أولسون**". فقال "**بوارو**" محدثا هذه الأخيرة:

– إذا سمحت يا سيدتي، فإننا سنفتش أمتعتك أولا حتى يتسنى لك اللحاق بالسيدة "**هوبار**"، فإن المسكينة في حالة يرثى لها من الاضطراب والفزع، بسبب عثورها على خنجر القاتل في حقيبتها. وأعتقد أن وجود شخص آخر معها من شأنه أن يصرف ذهنها عن هذا الحادث المزعج، وفي الحال ظهرت على وجهها

علامات الشفقة وأخبرت "**بوارو**" بأن حقائبها مفتوحة يفعلون بها ما يشاءون؛ لأنها سوف تلحق بالسيدة "**هوبار**".

وما إن انصرفت "**جريتا أولسون**" وبدأ "**بوارو**" في تفتيش حقيبة "**ماري دينهام**" حتى سألته هذه الأخيرة:

– لماذا تعمدت إبعاد السيدة السويديَّة يا سيد "**بوارو**"؟ فأجاب "**بوارو**" وهو يتظاهر بالدهشة:

– أنا تعمدت إبعادها؟ كلا يا آنسة، إنما أردت فقط أن أبعث بها إلى السيدة "**هوبار**" للغرض الذي ذكرته.

– هذا عذر لا بأس به، ولكنه عذر على كل حال.

– أنا لا أفهمك يا آنسة.

– بل أظن أنك تفهمني حق الفهم. وابتسمت وأردفت:

– إنك أردت أن تبقى معي على انفراد، أليس كذلك يا سيد "**بوارو**"؟ وإذا أردت المزيد من الصراحة فإنني أقول لك إنك تعتقد لسبب ما بأنني أعرف شيئًا عن هذه الجريمة التي ذهب ضحيتها رجل لم أره قبل الآن.

– إنك واهمة يا آنسة.

– كلا.. إنني لست واهمة. ولكني أعتقد أن اللف والدوران يكلفانك وقتًا ثمينًا.. وقد كان في مقدورك اقتصاد بعض الوقت والجهد. لو أنك عمدت إلى الصراحة ودخلت الدور من أبوابها.

– ما دمت تكرهين اللف والدوران وإضاعة الوقت، فاسمحي لي إذن أن أحدثك بصراحة. إنني أود أن أعرف منك معنى كلمات سمعتها في محطة (قونية) فلقد سمعتك تقولين للعقيد "**أريتنوت**" تحت جنح الظلام.

(كلا.. ليس الآن.. بل عندما ينتهي كل شيء) فماذا كنت تعنين بهذه

الكلمات يا آنسة؟ فأجابت في هدوء:

– هل تظن أنني كنت أشير إلى هذه الجريمة؟

– إنني أسألك يا آنسة. ويهمني أن أعرف جوابك.

– إن لهذه الكلمات معنى يا سيدي. ولكنني لن أذكره لك. وكل ما أستطيعه في الوقت الحاضر هو أن أقسم لك بشرفي على أني لم أر القتيل في حياتي قبل أن يقع عليه بصري في هذا القطار.

– إذن أنت ترفضين إيضاح معنى الكلمات التي ذكرتها؟

– نعم.. أرفض. لأنني كنت أشير بها إلى.. إلى مهمة اضطلعت بأدائها.

– مهمة انتهت؟

– ماذا تعني؟

– لقد انتهت المهمة.. أليس كذلك؟

– ما الذي يحملك على الاعتقاد بأن المهمة انتهت؟

– أصغي إليّ يا آنسة.. إني سألفت نظرك إلى ظاهرة أخرى مريبة.

عندما تعطل القطار، قبل وصولنا إلى "**إسطنبول**"، ظهرت عليك علامات القلق والفزع الشديدين.. على الرغم مما أرى من رزانتك ورباطة جأشك. فابتسمت وأجابت:

– هذا حقيقي، قد أزعجني أن يفوتني هذا القطار.

– ذلك ما علمته منك وقتئذ.. ولكنك تعلمين كذلك يا آنسة بأن قطار الشرق يغادر "**إسطنبول**" يوميا، فلو فاتك هذا القطار لتأخرت يوما واحدا عن الوصول إلى "**لندن**".. وهنا فقط ظهرت على "**ماري دينهام**" علامات الضجر وقالت:

– لعلك لا تعلم أنه إذا كان للإنسان أصدقاء في "**لندن**" ينتظرون قدومه بفارغ الصبر.. فإن تأخره يوما من شأنه أن يزعجهم، ويقلب البرنامج الذي أعدوه

لاستقباله رأسا على عقب.

– من الغريب أن هذا القطار تعطل، وليس في مقدورك أن تتصلي بأصدقائك تلغرافيا، أو تليفونيا، أو بأية وسيلة أخرى. ومع ذلك لم يظهر عليك شيء من دلائل القلق والانزعاج. فصعد الدم إلى وجنتيها.. وعضت شفتيها. سألها:

– أراك لا تجيبين يا آنسة.

– يؤسفني أني لا أرى ما يستحق الإجابة.

– كيف ذلك؟ إني أسألك عن السر في تبدل أطوارك بهذه السرعة!

– ألا ترى يا سيد "**بوارو**" أنك تكلف نفسك كثيراً من العناء من أجل شيء لا يستحق العناء.

– لعل هذا من أظهر عيوبنا نحن رجال البوليس السري. فنحن نطالب بإيضاح كل ظاهرة مهما كانت تافهة.

ثم انتقل إلى موضوع آخر إذ سأل الفتاة:

– هل تعرفين العقيد "**أربتنوت**"؟ ومنذ متى يا آنسة؟

– إنني قابلته لأول مرة في هذه الرحلة.

– هل لديك من الأسباب ما يحملك على الاعتقاد بأنه كان يعرف السيد "**راتشيت**"؟

– أنا واثقة بأنه لم يكن يعرفه.

– أما زلت ترفضين إيضاح معنى الكلمات التي سمعتك تذكرينها للعقيد؟

فأجابت ببرود:

– ليس عندي ما أقوله.

– لا بأس، سوف أعرف الحقيقة بنفسي.

وغادر الغرفة يتبعه زميلاه. ودخل الثلاثة بعد ذلك غرفة الآنسة "**شميدث**".

ولم يكد "**بوارو**" يفتح حقيبتها حتى أفلتت من فمه صيحة دهشة. ذلك أنه وجد بالحقيبة ثوبًا من ثياب ملاحظي عربات النوم بحالة تدل على أنه طوي ووضع في الحقيبة على عجل. أما المرأة الألمانيَّة فقد ارتسمت على وجهها دلائل الفزع وصاحت:

– هذا الثوب ليس لي.. ولا أعرف عنه شيئًا. وأقسم لك أنني لم أفتح هذه الحقيبة منذ غادرت "**إسطنبول**".

فقال "**بوارو**" وهو يضع يده على كتفها بلطف:

– لا تنزعجي، فإنني واثق بك. وإذا أردت معرفة سر وجود هذا الثوب بين أمتعتك فإنني أوضحه لك.

إن الرجل الذي قابلك أو بمعنى آخر الرجل الذي كان يرتدي هذا الثوب واصطدم بك في أثناء انطلاقك إلى غرفة سيدتك كما ذكرت في شهادتك.. هذا الرجل كان قد خرج لتوه من غرفة القتيل وكان من سوء حظه أنه اصطدم بك؛ لأنه كان يرجو ألا يراه أحد، فلما رأيته، خاف أن يفتضح أمره، وفكر، وهداه التفكير إلى ضرورة التخلص من الثوب الذي كان متنكرًا به.. ولكن كيف؟ خطر له أن يلقي بالثوب من نافذة القطار، ولكنه عاد فتذكر أن القطار محوط بالثلج وقد يكتشف الثوب فوق الجليد في الصباح.. أين إذن يخفي الثوب؟ كانت جميع الغرف مشغولة، فيما عدا غرفة واحدة هي الغرفة التي وجد بابها مفتوحًا. والتي فهم في الحال أن صاحبتها هي التي قابلته واصطدمت به. فدخل هذه الغرفة وخلع الثوب، وأخفاه في الحقيبة. قال ذلك وتناول الثوب من الحقيبة وفحصه بسرعة فوجد أن السترة ينقصها زر هو ولا شك الزر الذي وجدته السيدة "**هوبار**" تحت نافذة غرفتها، وعثر في أحد الجيوب فضلا عن ذلك على مفتاح من نوع المفاتيح التي يستعملها موظفو عربات النوم لفتح أبواب العربات. وهنا هتف السيد

"**بوك**" :

– هذا المفتاح يفسر لنا السر في استطاعة القاتل المرور من جميع الأبواب، ومنها الباب الفاصل بين غرفة "**راتشيت**" وغرفة السيدة "**هوبار**". وصمت لحظة ثم عاد فأردف :

– إنك أرهقت السيدة "**هوبار**" بالأسئلة على غير جدوى، وكان من السهل علينا أن نستنتج أن القاتل إذا كان قد استطاع الحصول على ثوب من ثياب موظفي عربات النوم. فلابد أنه استطاع الحصول كذلك على مفتاح لفتح أبواب الغرف وغلقها. فقال "**بوارو**" :

– هذا صحيح، والذي أستطيع أن أفهمه الآن، هو أن القاتل استخدم هذا المفتاح للمرور من غرفة القتيل إلى غرفة السيدة "**هوبار**".. والمهم الآن هو أن نعثر على الوشاح الأحمر.. فقال السيد "**بوك**" :

– صدقت، ولكن لا تنس أننا فتشنا جميع المركبات إلا اثنتين يشغلهما رجال.

– لابد من تفتيشهما على كل حال.

كانت الغرفة التالية هي غرفة "**هكتور ماكوين**" سكرتير القتيل، وقد وافق في الحال على فكرة التفتيش، وقال وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة:

– أعلم أنني أنا الشخص الذي يحوم حوله أكبر جانب من الريب والشبهات، ولذا يسرني أن تفتشوا أمتعتي ليطمئن بالي، وكل خوفي الآن أن تعثروا على وصيَّة من القتيل يوصي لي فيها بكل أمواله، لكي تثبت عليّ جريمة الفتك به. فضحك "**بوارو**" وبدأ عمليَّة التفتيش، وانتهى منها بسرعة، وغادر الغرفة ومعه زميلاه، وشيعهما "**ماكوين**" بآهة عميقة تدل على الارتياح. وقصدوا بعد ذلك إلى غرفة الرجل الإيطالي الضخم الجثة وفتشوها، ولكن دون جدوى. فرغ الرجال الثلاثة من عمليَّة التفتيش، ووقفوا في نهاية المركبة وتبادلوا نظرات ذات معنى..

وسأل "**بوك**" :

ـ ماذا سنفعل الآن؟ فأجاب "**بوارو**" :

ـ سنعود إلى مركبة الطعام لنستعرض ما لدينا ونستعرض أقوال المسافرين ونحاول الوصول إلى نتيجة.

قال ذلك ودس يده في جيبه وأخرج علبة من التبغ، ولكنه وجدها فارغة، فقال لزميليه :

ـ سأحضر بعض لفافات التبغ من غرفتي وألحق بكما حالا. وهرول إلى غرفته وفتح إحدى حقائبه. ولم يكد يلقي بصره على محتويات الحقيبة حتى وقف مكانه جامداً مبهوتًا.. ذلك أنه رأى وشاحا أحمر من الحرير قد طوي بعناية ووضع في الحقيبة. رفعه بين يديه، ووجده مزركشًا بصورة تنين.. إذن هذا هو الوشاح الذي كانت ترتديه السيدة التي اشتركت في جريمة قتل "**راتشيت**". غمغم "**بوارو**" قائلا :

ـ إذن فالقاتل يتحداني.. هذا حسن.. إنني أقبل التحدي.



القسم الثالث

- 1 -

من القاتل؟

قال "بوارو" لصاحبيه:

– ما يهمني في هذه القضيَّة ويحرك فضولي إلى معرفة أسرارها المبهمة هو أننا بمعزل عن العالم أولا، وأمام طائفة من المعلومات المتناقضة ثانيًا. والواقع أنني أسأل نفسي: ترى هل قال المسافرون جميعا الصدق؟ أم كان بينهم الكاذب المخادع؟ نحن لا نملك من الوسائل والأساليب في هذه الظروف ما يساعدنا على التحقق من صدق الصادقين وكشف كذب الكاذبين. ثم اضطجع في مقعده وقال:

– إنني عالجت الأدلة والحقائق وأقوال الشهود وخرجت بنتيجة.. نعم. إنني اهتديت إلى تفسير أعتقد أنه قريب من الحقيقة. ولكني لا أذكر أنه التفسير الحقيقي، بل يجب قبل أن أقطع في الموضوع برأي أن أقوم ببعض التجارب. أن أتحدث عن بعض أمور أرى أنها نتيجة إعمال الفكر وإمعان النظر. فأبدأ بإيراد ملاحظة أشار إليها صديقي السيد "**بوك**" في حديث دار بيني وبينه في هذه المركبة عندما تناولنا الطعام معا للمرة الأولى، فإنه قال لي وقتئذ إننا محوطون بأناس مختلفي الطباع والجنس واللغة. وهي حقيقة تبدو غريبة عند الكلام عن المسافرين بقطار الشرق في مثل هذا الوقت من السنة. وثمة ملاحظات أخرى أهمها اسم والدة السيدة "**أرمسترونج**" وما ذكره السيد "**ماكوين**" من أن القتيل ربما كان هو الذي أحرق الرسالة التي وجدنا رمادها في غرفته، والوسيلة التي لجأ

إليها السيد "**هاردمان**" لحراسة القتيل، وبقعة صغيرة رأيتها في جواز سفر الأمير "**أندريني**" الهنغاري وزوجته. فتناول السيد "**بوك**" جواز سفر الأمير "**أندريني**"، ثم أشار إلى بقعة صفراء بسيطة أمام اسم الأميرة وقال:

– أهذه تعني؟ فأجاب "**بوارو**":

– نعم. وهي بقعة (حديثة) تبدو وكأنها نقطة من دم.

– لقد رأيتها. فماذا تفهم منها؟

– تأمل موقعها.

– إنها موجودة في المكان الذي يبدأ فيه اسم الأميرة. ولكني لا أفهم السر في وجود نقطة الدم في هذا المكان.

– سأوضح لك رأيي فيما بعد. ولنرجع الآن إلى مسألة المنديل الذي عثرنا عليه في مكان الجريمة.

هذا المنديل من نوع فاخر جداً. من طراز المناديل الباريسيَّة الثمينة فأية امرأة بين المسافرين– بغض النظر عن الأسماء– يحتمل أن تقتني مثل هذا المنديل الثمين؟! إن السيدة "**هوبار**" سيدة متقدمة في السن. ولا يدل مظهرها على التأنق والإسراف، فهذا المنديل إذن لا يمكن أن يكون منديلها. وكذلك لا يمكن أن يكون منديل فتاة إنجليزيَّة من الطبقة المتوسطة كالآنسة "**دينهام**". ومن المحقق كذلك أنه لا يمكن أن يكون منديل الوصيفة "**هلدجارد شميدث**". فإنها مخلوقة رقيقة الحال. ولكن يوجد إلى جانب أولئك الثلاث. سيدتان يحتمل بحكم مركزهما أن تقتنيا مثل هذا المنديل. والسيدتان هما الأميرة "**دراجوميروف**". فقاطعه السيد "**بوك**" في تهكم:

– واسمها "**ناتاليا دراجوميروف**".. أي أن حرف (الهاء) لا وجود له في اسمها أو لقبها.

– هذا حقيقي. أما السيدة الثانية فهي الأميرة "**أندريني**".

وعند الكلام عن الأميرة يجب أن أعود إلى ذكر البقعة الموجودة في جواز السفر فوق بداية اسمها، وهي بقعة يخيل إليّ أنها نقطة دم، بل أرجح أنها نقطة دم. وقد يتبادر إلى الذهن أن تكون هذه النقطة قد وقعت فوق بداية اسمها اتفاقًا.. وكل شيء ممكن ومحتمل الوقوع. ولكن مما يلفت النظر ويثير الشكوك أن اسمها "**إيلين**". فلنفرض أن اسمها هو "**هيلين**" لا "**إيلين**".. ألا يكون من السهل جدا إحداث التغيير وإزالة حرف (الهاء) وإبداله بحرف (الألف) ثم وضع هذه البقعة لإخفاء هذا التلاعب! وهنا صاح "**بوك**":

– "**هيلين**"؟.. هذه فكرة جيدة..

– نعم، فكرة جيدة.. ومما يثير الريب ما لاحظته على حقيبة الأميرة. إن اسمها مكتوب على حقيبتها، وقد لاحظت أن إحدى بطاقات التخليص على البضائع ألصقت عمدًا على اسمها. ولاحظت أنها ألصقت حديثًا بمعنى أنها انتزعت من مكان ما في الحقيبة. وألصقت فوق الاسم.

– كل هذا كلام طيب.. ولكن الأميرة.. هل من المعقول أن تكون هي التي..

فقاطعه "**بوارو**":

– كلا، كلا يا عزيزي.. إن نقطة الدم، وتغيير الاسم، ورغبة الأميرة "**أندريني**" في إخفاء شخصيتها لا يثبتان التهمة ضدها.. ولا يعنيان أنها هي التي ارتكبت الجريمة. وإنما قد يكون لكل ذلك معنى آخر.. قد يكون معناه أن الأميرة تنتمي إلى أسرة "**أرمسترونغ**" التي يهمها دون غيرها أن تفتك بالقتيل.. وأن يكون مجرد رغبتها في إخفاء هذه العلاقة هو الذي دفعها إلى تغيير اسمها. إذ لابد أنها علمت أننا نبحث عن سيدة يبتدئ اسمها بحرف الهاء، وأننا عرفنا سر الجريمة، أو بمعنى آخر عرفنا الصلة بينها وبين حكاية أسرة "**أرمسترونغ**". وليس غريبا أن

تكون هذه الأنباء قد ترامت إليها في أثناء التحقيق.. فعمدت في هذه الحالة إلى إزالة كل ما من شأنه أن يثبت صلتها بأسرة "**أرمسترونج**" لا لشيء إلا مجرد الرغبة في التخلص من مضايقات التحقيق.

– ولكن ما الصلة بينها وبين أسرة "**أرمسترونج**"؟! لقد قالت إنها لم تسافر أبدا إلى "**أمريكا**".

– نعم. إنها قالت ذلك. بل راحت تتكلم اللغة الإنجليزيَّة بلهجة سقيمة.. وتبالغ في التظاهر بأنها ليست إنجليزيَّة أو أمريكيَّة. ولكن لا تنس أن والدة السيدة "**أرمسترونج**" كانت ممثلة بارعة وكانت معروفة في "**أمريكا**" باسم "**ليندا آردن**" ولكن اسمها الحقيقي هو "**ليندا جولدنبرج**". واعتقادي الآن أيها السادة هو أن صغرى بنات "**ليندا آردن**" – واسمها "**هيلين جولدنبرج**" هي نفسها "**إيلين أندريني**" زوجة الأمير "**أندريني**" الملحق بمفوضيَّة "**هنغاريا**" في "**واشنطن**".

– ولكن الأميرة "**دراجوميروف**" أكدت لنا أن صغرى بنات "**ليندا آردن**" قد اقترنت برجل إنجليزي. ورحلت إلى "**إنجلترا**" حيث انقطعت أخبارها.

– نعم.. نعم. وأكدت فضلا عن ذلك أنها لا تذكر اسم الزوج!! ولكن هل هذا معقول؟.. لقد كانت الأميرة تحب "**ليندا آردن**" كما تعودت نساء العظماء أن يحببن بنات صديقتهن الممثلة ولم تهتم بتقصي أنبائهن؟ كلا، كلا.. إني أعتقد أن الأميرة "**دراجوميروف**" كذبت فيما قالت، وأنها كانت تعلم حق العلم أن "**هيلين جولدنبرج**" تسافر معها في هذا القطار، وأنها حين عرفت حقيقة "**راتشيت**" أشفقت أن تتجه التهمة إلى "**هيلين**" ابنة صديقتها فتعمدت الكذب لتدفع عنها كل شبهة. وعندما وصل "**بوارو**" إلى هذه النقطة. أقبل أحد عمال مركبات النوم وأعلن أن طعام العشاء قد أعد.

- 2 -

المنديل

جلس "**بوارو**" والسيد "**بوك**" والدكتور اليوناني حول إحدى الموائد في مركبة الطعام. وتناول المسافرون طعام العشاء في جو هادئ. وأجال "**بوارو**" الطرف في أنحاء المركبة حتى أبصر الأمير وزوجته وقد جلسا حول مائدة منعزلة. فأبرقت أسارير وجهه. ودعا الخادم وهمس في أذنه كلامًا. وكانت نتيجة التعليمات التي تلقاها الخادم من "**بوارو**" أن أبطأ الأول في خدمة الأمير والأميرة. فبقيا في المركبة بعد انصراف الآخرين. وأخيرًا فرغ الاثنان من تناول الطعام وهما بالانصراف، فوثب "**بوارو**" في أثرهما. وقال محدثًا الأميرة:

– عفوًا يا سيدتي.. لقد سقط منديلك. وقدم إليها المنديل المطرز الذي عثر عليه في غرفة القتيل. فتناولته. وأمعنت فيه النظر.. ثم ردته إليه وهي تقول:

– إنك أخطأت يا سيدي.. هذا ليس منديلي.

– ليس منديلك! هل أنت واثقة؟

– بالتأكيد..

– ومع ذلك فإنني أجد عليه حرف (الهاء) الذي هو الحرف الأول من اسمك.

وهنا أتى الأمير بحركة فجائيَّة تدل على الضجر والغضب ولكن "**بوارو**" تجاهله.. وظل ينظر إلى وجه الأميرة بحدة غير أنها قابلت نظرته بمثلها وقالت:

– لا أستطيع أن أفهمك يا سيدي.. إن اسمي يبدأ بحرف (الألف) لا بحرف (الهاء).

– لا أظن ذلك يا سيدتي.. إن اسمك "**هيلين**" لا "**إيلين**" اسمك "**هيلين**

جولدنبرج" . وأنت صغرى بنات "**ليندا جولدنبرج**" الشهيرة باسم "**ليندا آردن**" . لذلك أنت شقيقة السيدة "**أرمسترونج**" .

وهنا ساد صمت عميق استغرق دقيقة أو دقيقتين، ولاحظ "**بوارو**" في الحال أن الأمير وزوجته قد امتقع لونهما. فاستطرد في هدوء ورفق:

– هل أستطيع أن أعرف السر في وجود هذه النقطة فوق الحرف الأول من اسمك في جواز السفر؟ إنها نقطة دم على ما أعتقد . . فقالت الأميرة:

– نعم. إنها أثر دبوس أصاب إصبع الموظف الذي كتب جواز السفر فأدماها. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– كالدبوس الذي أصاب أصبع الأمير. ونظر إلى الأمير "**أندريني**" . . وكانت إحدى أصابعه معصوبة. واستطرد:

– إن هناك وسائل أخرى لطمس الكلام المكتوب غير تغطيته بالدم وتعريض أصبعك للتسمم يا سيدي الأمير. ولكن ربما كان لك العذر في أن الجواز مكتوب بالمداد الأحمر ولم تتمكن من الحصول على هذا المداد؛ لأنك في قطار، ولأنه لم يكن لديك متسع من الوقت لتفعل غير ذلك. لا فائدة من الإنكار، هذه هي الحقيقة أليس كذلك؟ فصاح الأمير بلهجة الغاضب المحنق:

– إنني أسألك يا سيدي. بأي حق . . ولكن زوجته قاطعته بأن رفعت يدها الصغيرة نحو فمه قالت:

– كلا يا "**رودولف**" . . دعني أتكلم . . وأوضح كل شيء . . لا فائدة من تكذيب هذا السيد، والأفضل أن نجلس لنتكلم مليًّا. فصمت الأمير. وجلست زوجته فحذا حذوها. وقالت:

– إنك ذكرت الحقيقة يا سيدي. فأنا "**هيلين جولدنبرج**" شقيقة السيدة "**أرمسترونج**" .

– يسرني أن تعترفي بالحقيقة يا سيدتي.. والآن.. هل تستطيعين أن تذكري لي لماذا تعمدت تغيير اسمك في جواز السفر؟ فقال الأمير:

– أنا الذي فعلت ذلك. وقالت زوجته بهدوء:

– من المؤكد يا سيد "**بوارو**" أنك تستطيع أن تفهم السبب، فالرجل الذي قتل في هذا القطار. هو الذي قتل ابنة أختي. وكان سببًا في موت أختي وزوجها.. فهو قد لطخ يديه بدماء أعز الناس إليّ في هذا العالم.

وارتجف صوتها. وشعر "**بوارو**" أنه أمام مخلوقة حزينة، كسيرة القلب، أو أمام ممثلة قديرة ورثت عن أمها تلك المواهب التي طالما حركت أكف المتفرجين بالتصفيق. استطردت:

– فأنا الوحيدة في هذا القطار التي يهمها قتل الرجل، وطبيعي أن تشير إليّ أصابع الاتهام قبل غيري.

– ألم تقتليه يا سيدتي؟

– أقسم لك يا سيد "**بوارو**"– وها هو ذا زوجي يؤيد قسمي– أنني مهما تكن العوامل التي تحفزني لقتل هذا الرجل. فإنني لم أشرع ولم أفكر في قتله. وقال الأمير:

– وأنا أقسم لك يا سيدي أن "**هيلين**" لم تغادر الغرفة ليلة أمس؛ لأنها تناولت دواء ضد الأرق كما قلت لك. فهي بريئة تمامًا من هذه الجريمة. فأخذ "**بوارو**" ينقل بصره بينهما وردد الأمير:

– أقسم لك بشرفي. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– ومع ذلك فإنك أحدثت هذا التغيير في جواز السفر. فقال الأمير بحدة وإخلاص:

– تصور موقفي يا سيد "**بوارو**".. هل تظن أنني كنت أستطيع أن أترك زوجتي

تقع في يد البوليس، وتساق إلى محكمة الجنايات في قضيَّة كهذه؟! إنها بريئة وأنا واثق بذلك، بيد أنها لم تذكر غير الحقيقة حين قالت إن صلتها بـ"**أرمسترونج**" كان مصيرها حتما أن تحيطها بالريب.

قد كان من سوء حظنا أننا سافرنا في ذات القطار الذي سافر فيه "**راتشيت**". هذه هي كل جريمتنا إذا صح لك أن تعتبر سوء الحظ جريمة، وهذا ما دعاني إلى الكذب. وقد كذبت ولكني كنت صادقًا حين قلت إن زوجتي لم تغادر غرفتها ليلة أمس. فأجاب "**بوارو**":

– لا أقول إنني أرتاب في كلامك يا سيدي. فأنت من سلالة أسرة قديمة عريقة. ومن المؤكد أنه يؤلمك أن يقبض على زوجتك، فأنا أقدر دقة موقفك، ولكني أحب أن تفسر لي السر في وجود منديل زوجتك في غرفة القتيل. فقالت الأميرة:

– هذا المنديل ليس منديلي يا سيدي.

– على الرغم من وجود الحرف الأول من اسمك على أحد جوانبه؟

– نعم. على الرغم من وجود هذا الحرف. وصمتت ثم عادت فأردفت:

– إنني أملك منديلا من نوع يشبه هذا النوع، ولكن هذا المنديل ليس منديلي، وأنا أعلم طبعا أنني لا أستطيع حملك على تصديقي ولكن أؤكد أنني صادقة فيما أقول.

– ألا يحتمل أن يكون هذا المنديل قد وضع في مكان الجريمة لإثارة الشكوك حولك؟ فابتسمت وقالت:

– أنت تريدني أن أعترف ضمنا بأن المنديل منديلي. ولكنه في الواقع ليس منديلي. وقد قالت ذلك بهدوء تام. فسألها "**بوارو**":

– وإذن لماذا أبدلت الحروف الأولى من اسمك في جواز السفر ما دام هذا المنديل ليس لك؟ فأجاب الأمير:

– أنا الذي أبدلت الحروف الأولى من اسم "**هيلين**". أما السبب فهو أنه اتصل بنا أن منديلا وجد في مكان الجريمة وعليه حرف الهاء. فعالجنا المشكلة فيما بيننا قبل أن نسأل أمام المحقق. وأفهمت "**هيلين**" أن المحقق إذا وجد اسمها بحرف الهاء فإنه قد يشدد الكثير عليها في الأسئلة والتحقيق، وهكذا تم الاتفاق بيننا على أن نبدل حرف الهاء بحرف الألف. فقال "**بوارو**" محدثًا الأميرة:

– إن أسباب الجريمة التي نحن بصددها تتصل بحوادث قديمة حطمت سعادتك في الماضي، فربما أجد الحلقة المفقودة التي تفسر لنا ما تعذر علينا إدراكه.

– ماذا أستطيع أن أسرده عليك من حوادث الماضي؟ إن جميع الذين اتصلوا بتلك الحوادث قد ماتوا.. نعم ماتوا جميعًا.. ماتت أختي المسكينة "**سونيا**" وزوجها المحبوب "**روبرت**" وابنتها العزيزة "**ديزي**". وجففت دمعة تدحرجت على وجنتيها.. قال "**بوارو**":

– سألقي عليك الآن سؤالا أرجو أن تفكري جيدا قبل أن تجيبي عنه. هل وقع بصرك في هذا القطار على أي شخص تعرفينه؟ فحملقت إلى وجهه لحظة ثم أجابت:

– أنا؟ كلا.

– والأميرة "**دراجوميروف**"؟

– آه! الأميرة.. بالتأكيد أعرفها.. لقد حسبتك تسألني عن أي شخص.

– فكري جيداً يا سيدتي، واذكري أن أعوامًا كثيرة قد انقضت على تلك الحوادث.. وأن مرور الأعوام لابد قد غير وجوه الأشخاص الذين أعنيهم.

– كلا.. لم يقع بصري في هذا القطار على أحد.. أنا واثقة بذلك.

– وأنت. أنت نفسك كنت فتاة صغيرة في ذلك العهد. فهل لم تكن لك معلمة خاصة؟

– كانت معلمتي هي سكرتيرة أختي "**سونيا**" .

– وما اسم هذه السكرتيرة؟! ففكرت الأميرة لحظة ثم قالت :

– الآنسة "**فريبودي**" .. وهي إنجليزيَّة .. أو اسكتلنديَّة . لا أذكر تمامًا وإنما أذكر أنها كانت امرأة بدينة ذات شعر أحمر .

– هل كانت متقدمة في السن؟

– كان يخيل إليّ أنها متقدمة في السن .. في نحو الأربعين من عمرها .

– هل كان هناك أشخاص آخرون لهم اتصال وثيق بأسرة "**أرمسترونج**" ؟

– كان هناك الخدم بالتأكيد . وعندما انصرف الأمير وزوجته . تحول "**بوارو**" إلى زميليه وقال وعلى شفتيه ابتسامة :

– أرأيتما كيف أننا نتقدم بسرعة! فقال "**بوك**" :

– مهما يكن من أمر . وقبل أن يتم عبارته فتح باب مركبة الطعام . ودخلت الأميرة "**دراجوميروف**" . وقصدت توا إلى حيث جلس الرجال الثلاثة فنهضوا واقفين . ولكنها تجاهلت السيد "**بوك**" والدكتور "**قسطنطين**" وقالت تحدث "**بوارو**" :

– أعتقد يا سيدي أنك عثرت على منديل يخصني . فنظر "**بوارو**" إلى زميليه نظرة الفوز . ثم قال محدثا الأميرة :

– هل تعنين هذا المنديل يا سيدتي؟ وعرض عليها المنديل الذي عثر عليه في مكان الجريمة . فقالت :

– نعم .. إن في أحد أركانه الحرف الأول من اسمي .

– ولكن هذا الحرف يا سيدتي هو حرف (الهاء)، أما اسمك فيبدأ بحرف (النون) اسمك "**ناتاليا**" على ما أعتقد .. فنظرت إليه ببرود وقالت :

– هذا حقيقي يا سيدي .. ولكني أضع على جميع أمتعتي الحرف الأول من

اسمي كما أكتبه باللغة الروسيَّة فحرف النون بالروسيَّة يشبه حرف (الهاء) اللاتيني. فقال "**بوارو**" :

– ولكنك لم تذكري أن هذا المنديل لك عندما سألتك في صباح اليوم؟ فأجابت الأميرة بلهجة جافة:

– إنك لم تسألني يا سيدي. ثم أردفت:

– أرجو ألا تجعل من الحبة قبة يا سيدي. أعلم أنك ستلقي عليّ هذا السؤال «كيف اتفق وجود هذا المنديل في غرفة القتيل» أليس كذلك؟ وجوابي عن هذا السؤال هو أنني لا أعرف كيف وضع المنديل في مكان وقوع الجريمة.

– عفواً يا سيدتي.. ولكن إلى أي حد نستطيع الثقة بكلامك؟

– تعني أنك لا تستطيع أن تثق بكلامي؛ لأنني لم أصرح لك بأن الأميرة "**هيلين أندريني**" هي شقيقة السيدة "**أرمسترونج**" ؟

– الواقع أنك كذبت علينا في هذا الموضوع.

– بلا شك. وأنا مازلت على استعداد لأن أكذب مرة أخرى من أجلها. لقد كانت أمها من أعز صديقاتي. فليس غريبًا أن أكذب لأوفر عليها كثيراً من المتاعب.

– لعلك تقدرين ظروفي يا سيدتي.. إنك كذبت مرة، فهل أستطيع الآن أن أصدق أقوالك عن هذا المنديل؟ أم مازلت تكذبين لتنقذي ابنة صديقتك من تبعة الجريمة؟

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة:

– آه! فهمت ما تعني.. أصغ إليّ يا سيدي.. إنني أستطيع أن أبرهن على أن هذا المنديل لي دون سواي. أستطيع أن أقدم لك عنوان المصنع الذي أبتاع منه مناديلي في "**باريس**". وأؤكد لك أنه يكفي أن تظهر للمصنع هذا المنديل ليقال

لك في الحال إنني صاحبته، وإنه أرسل لي منذ عام على الأكثر. ثم نهضت وهي تقول:

– هل لديك ما تريد أن تسأل عنه؟

– أريد أن أعرف لماذا أنكرت خادمتك هذا المنديل عندما رأته معي صباح اليوم؟!

– تقول إنها رأته معك وأنكرت معرفته؟!! إنها إذن تخلص لي الإخلاص كله، وإني لمغتبطة بذلك. قالت ذلك ثم أحنت رأسها باحترام وغادرت المركبة. وهنا غمغم "**بوارو**":

– لقد ذكرت الآن أن الخادمة ترددت قليلا عندما عرضت عليها المنديل.. ثم قررت أن تكذب.. فأنكرته، كل هذا حسن.. كل هذا يتفق مع رأيي في الموضوع. يجب الآن أن أستجوب العقيد "**أريتنوت**" مرة أخرى. وأقبل العقيد وعلى وجهه علامات الضجر والانزعاج فبادر "**بوارو**" بقوله:

– حسنًا. حسنًا. هل من جديد؟ فأجاب "**بوارو**":

– يجب أن أعتذر لك عن إزعاجي إياك، ولكني في الواقع بحاجة إلى بعض معلومات أعتقد أنك تستطيع أن تقدمها لي، فهل ترى أولا هذه الفرشاة المعدة لنظافة الغليون؟

– نعم.

– هل تخصك؟

– لا أعلم؛ لأنني لا أضع على الفرشاة التي أستعملها علامة خاصة.

– ولكن هل تعلم يا عقيد "**أريتنوت**" أنك الوحيد الذي يدخن غليونا دون المسافرين جميعًا؟

– في هذه الحالة يجب أن تكون هذه الفرشاة قد فقدت مني.

– هل تعرف أين وجدت؟

– كلا.

– إنها وجدت بجانب جثة القتيل. فرفع العقيد حاجبيه بدهشة، ومضى "**بوارو**" في حديثه فقال:

– هل تستطيع أن تخبرني كيف اتفق وجودها هناك؟

– إذا كنت تريد أن تسألني هل أنا الذي تركتها هناك فإنني أجيبك سلبًا.

– هل دخلت غرفة "**راتشيت**" في وقت ما؟

– إنني لم أتحدث أبداً مع هذا الرجل.

– لم تتحدث معه، أم لم تقتله؟ فنظر إليه العقيد بسخرية وأجاب:

– إذا كنت قتلته. فمن المؤكد أنني لا أصارحك بذلك، ولكني أقول لك إنني لم أقتل هذا الرجل.

– مهما يكن من أمر فإنني لا أقيم كبير وزن على وجود هذه الفرشاة في غرفة القتيل.

– ماذا تعني؟

– أعني أن في الإمكان تبرير وجودها هناك بمبررات شتى، فهذه مسالة ثانويَّة بيد أنني في الواقع قد دعوتك لأمر آخر. فحملق العقيد إلى وجهه. ومضى البوليس السري يقول:

– ألم تذكر لك الآنسة "**ماري دينهام**" أنني سمعت كلمات قالتها لك في محطة (قونية)؟ فصمت العقيد ولم يجب. قال "**بوارو**":

– إنها قالت لك «ليس الآن.. فصبراً حتى ينتهي كل شيء» فهل تعلم ماذا كانت تعني بهذه الكلمات؟

– يؤسفني أن أرفض الإجابة عن هذا السؤال يا سيد "**بوارو**"، وأقترح عليك أن

تستفسر من الآنسة "**دينهام**" نفسها عن معنى هذه الكلمات.

– لقد سألتها.

– ورفضت الإجابة؟

– نعم.

– إذن كان يجب أن تعلم أنه ليس في إمكاني أن أقول شيئًا.

– هل ترى أن في الأمر سراً يتعلق بها. وأنه ليس من الشهامة أن تبوح بسر إحدى النساء؟

– قل ما شئت في تعليل سكوتي. ولكني لن أتكلم.

– لقد قالت لي الآنسة "**دينهام**": إن هذه الكلمات تنصب على أمر خاص بها.

– ولماذا لم تصدق كلامها؟

– لم أصدق كلامها؛ لأن حولها ما يثير الشبهات. فقال العقيد بحدة:

– هذا كلام فارغ أنت لا تملك أي دليل ضدها.

– وهل يوجد دليل أعظم من أنها كانت تعمل في أسرة "**أرمسترونج**" بـ"**أمريكا**" في الوقت الذي اختطفت فيه "**ديزي أرمسترونج**". وهنا ساد صمت عميق. وأدرك "**بوارو**" أن العقيد لا يجد ما يقوله فأطرق برأسه. واستطرد قائلا في رفق:

– هأنت ترى أننا نعرف من أمر الآنسة "**دينهام**" أكثر مما تتصور.. فإذا كانت الآنسة بريئة فلماذا تتعمد إخفاء الحقائق؟ ولماذا تؤكد لي أنها لم تذهب أبدًا إلى "**أمريكا**"؟

– ألا يحتمل أن تكون مخطئًا؟

– كلا.. إنني لم أخطئ. فلماذا كذبت الآنسة "**دينهام**" ولم تذكر الحقيقة؟ فهز العقيد كتفيه وأجاب:

– خير لك أن تسألها هي. أما أنا فمازلت أعتقد أنك مخطئ. وهنا دعا "**بوارو**" أحد الخدم وقال له:

– اذهب إلى الغرفة رقم 11 وقل للسيدة الإنجليزيَّة التي تقيم بها أن تتكرم بمقابلتي هنا.

وانصرف الخادم.. وساد السكون التام. وبعد دقيقتين أو ثلاث أقبلت "**ماري دينهام**".

- 3 -

الحقيقة

تقدمت "**ماري دينهام**" بثبات ورباطة جأش. وألقت ببصرها على العقيد "**أريتنوت**" فالتقت أنظارهما لحظة. ثم تحولت إلى "**بوارو**" وسألته:

– هل طلبت مقابلتي؟ ففاجأها بقوله:

– أردت أن أسألك يا آنسة لماذا تعمدت الكذب والتضليل عندما استجوبتك صباح اليوم؟ فهتفت:

– الكذب! ماذا تعني؟ لست أفهم ما تريد؟

– إنك أخفيت عنا حقيقة مهمة. وهي أنه في الوقت الذي وقعت فيه فاجعة "**أرمسترونج**" كنت أنت في "**أمريكا**" تعملين في بيت الأسرة. وهنا لاحظ أنها انكمشت. ولكنها عادت فملكت نفسها بسرعة وأجابت:

– نعم هذا صحيح.

– هل تسمحين لي أن أسألك عن الأسباب التي دفعتك إلى كتمان الحقيقة.

– كنت أعتقد أن هذه الأسباب ظاهرة واضحة يا سيد **"بوارو"** .

– ولكن للأسف لا أستطيع أن أراها . فقالت بهدوء وبصوت فيه شيء من الصرامة :

– إنني مضطرة إلى العمل. مضطرة لأن أكسب قوتي بعرق جبيني .

– تعنين . . فحملقت إلى وجهه بحدة. وقاطعته بقولها :

– هل تفهم يا سيد **"بوارو"** معنى النضال للحصول على عمل شريف؟ وهل تظن أن الفتاة متى أذيعت صلتها بقضيَّة جنائيَّة مشهورة. ونشرت الصحف صورتها. ولاكت الألسن اسمها . . هل تظن أن فتاة يحدث لها ذلك تستطيع بعدئذ أن تجد عملا شريفا في عائلة محترمة، خصوصاً إذا كانت مهمة هذه الفتاة تربية البنات؟

– وماذا يحول دون ذلك ما دامت هذه الفتاة شريفة . . ولا أصبع لها في جريمة من الجرائم .

– ليست المسألة مسألة شرف أو اشتراك في جريمة، وإنما مسألة تشهير. لقد كنت حتى الآن موفقة في عملي. فمن الخطأ إذن أن أضحي بوظيفتي وبمستقبلي في سبيل حقيقة لا تفيد أحداً . .

– أظن يا آنسة . . أن تقدير فائدة هذه الحقيقة يجب أن يوكل إلى المحقق. لا إليك أنت. فهزت كتفيها. واستطرد **"بوارو"** :

– فمثلا . . لو أنك ذكرت لي الحقيقة ولم تتعمدي الكذب والتضليل . . لكان في مقدوري الوقوف بسهولة على حقيقة بعض الشخصيات التي يهمني أن أعرفها . . نعم. لو كانت لديك أية رغبة في مساعدة العدالة لما ترددت في أن تقولي لي إن الأميرة **"أندريني"** هي ذاتها أخت السيدة **"أرمسترونج"** ، وإنها ذاتها الفتاة التي كنت تشرفين على تربيتها وقت الفاجعة . .

– الأميرة "**أندريني**"؟!.. كلا.. كلا. أقول لك الحق، إنني لم أعرفها وقد يبدو ذلك غريبًا. ولكن الواقع أنها تغيرت في السنوات الثلاث الأخيرة فلم أعرفها. ولقد خيل إليّ عندما رأيتها في هذا القطار أنها تذكرني بشخص أعرفه. ولكني لم أتذكر قط الفتاة التي كنت أشرف على تربيتها في "**أمريكا**".

– ألا تبوحين لي بسرك يا آنسة؟! قال ذلك في رفق وعطف فأجابته بصوت ضعيف:

– لا أستطيع.. لا أستطيع. ثم دفنت وجهها بين يديها فجأة. وانخرطت في البكاء. فوثب إليها العقيد ووقف إلى جانبها وراح يقول:

– "**ماري**" بحق السماء! ماذا؟ فكفكفت دمعها وقالت:

– لا شيء. لا شيء، اطمئن.. هل أنت بحاجة إليّ يا سيد "**بوارو**"؟ إذا أردتني فابعث إليّ.. يا لله! ما أشد غبائي!

أما العقيد فإنه تريث قليلا. ثم التفت إلى "**بوارو**" وقال له:

– يجب أن تضع الآنسة "**دينهام**" فوق كل شبهة. هل فهمت؟ وإذا خطر لك أن تضايقها بعد الآن فثق بأنني سوف أحاسبك حسابًا عسيرًا. وخرج في أثرها. وهنا هتف "**بوك**":

– أنت عظيم يا "**بوارو**".. إنك في الحق بارع غاية البراعة في الاستنتاج وحل الألغاز.

– إنني في الواقع لم أستنتج شيئًا. بل الفضل كله للأميرة "**أندريني**".

– كيف ذلك؟

– ألا تذكر أنني سألتها عن مربيتها! إنني ألقيت عليها ذلك السؤال لأنني قلت لنفسي: إذا كان للآنسة "**دينهام**" أصبع في الجريمة. فلابد أنها كانت على اتصال بأسرة "**أرمسترونغ**".. وبما أنها تشتغل بتربية بنات الأسر الكبيرة فلابد إذن أنها

كانت مربيَّة الأميرة في صغرها.

– هذا كلام معقول.. ولكني أذكر أن الأميرة ذكرت عن مربيتها أوصافا تختلف الاختلاف كله عن أوصاف الآنسة "**دينهام**".

– نعم. إنها وصفتها بأنها امرأة متوسطة العمر، طويلة القامة، ذات شعر أحمر. وهي أوصاف "**ماري دينهام**" تماما.. ولكني عندما سألتها عن اسم المربيَّة. تورطت على الرغم منها في خطأ كشف لي عن الحقيقة.. قالت إن المربيَّة تدعى الآنسة "**فريبودي**". أليس كذلك؟

– بلى.

– هناك حقيقة ربما تجهلها. وهي أنه كان يوجد في "**لندن**" إلى عهد قريب متجر كبير لملابس السيدات يملكه رجلان هما "**دينهام**" و"**فريبودي**"، فلما سألت الأميرة عن مربيتها تذكرت في الحال أن اسمها "**دينهام**" ولكنها أرادت أن تضعنا أمام سلسلة لا نهاية لها من الألغاز والأحاجي بقصد تضليلنا. فبحثت بسرعة عن اسم تنطق به. وكان أسبق الأسماء إلى ذهنها ولسانها هو اسم "**فريبودي**" لاقترانه باسم "**دينهام**".

– وإذن فقد كذبت الأميرة مرة أخرى؟

– ربما كانت حسنة النيَّة في هذه المرة. بيد أن كذبها كان من شأنه عرقلة أعمالنا. فهتف السيد "**بوك**":

– يا لله! يخيل إليّ أن أحدا في هذا القطار الملعون لا يقول الصدق. فقال "**بوارو**" وهو يبتسم:

– وهذا في الواقع ما يثير فضولي إلى معرفة الحقيقة.

وبعث "**بوارو**" في طلب "**أنطونيو فوسكاريللي**" الإيطالي، فأقبل هذا وهو يسير مسرعًا وعلى وجهه علامات القلق والانزعاج. أجال الطرف حوله كما يفعل

الحيوان الجريح، ثم قال محدثًا "**بوارو**" :

– مـاذا تريد مني؟ ليس عندي مـا أقـوله . يا لله! مـا هذه المضـايقـات! فـقـال "**بوارو**" بحزم:

– بل عندك الحقيقة التي نبحث عنها .

– الحـقـيـقـة؟! ونظر إلى "**بوارو**" بحـدة . ولكنه لم ير على وجهـه أثرا من آثار اللطف والدعة، فأسقط في يده وانكمش في مكانه . واستطرد "**بوارو**" :

– أريد الحقيقة . يحتمل أن أكون قد عرفتها من تلقاء نفسي . ولكن من الخير لك أن تبوح بها .

– إنك تتكلم كما يتكلم رجال البوليس في "**أمريكا**" .

– آه! إذن سبق أن كان للبوليس الأمريكي شأن معك؟

– أبدا . . أبدا . . إنهم لم يجدوا أي دليل ضدي . فقال "**بوارو**" بهدوء:

– إنك وقعت بين يدي البوليس الأمريكي في أثناء التحقيق في حادث اختطاف "**ديزي أرمستـرونج**" ؛ لأنك كنت سائق الأسـرة . أليس كـذلك؟ ونظر في عـيني الإيطالي بحدة . ولاحظ في الحال أن وجهه قد امتقع . . قال "**فوسكاريللي**" :

– لماذا تسألني مادمت تعرف الحقيقة؟

– ولماذا كذبت عندما استجوبتك صباح اليوم؟

– كـذبت لأسـبـاب تتصل بمركـزي وعـملي . أضف إلى ذلك أنـني لا أثق برجال البوليس اليوغـوسلافي، فأنـت تعرف أن رجال البـوليس اليـوغـوسـلافي يكـرهـون الإيطاليين . وقد فكرت في أنني إذا وقعت بين أيديهم نكلوا بي وأنا بريء .

– من يدري؟

– كلا . . كلا . . أؤكـد لك أنني بريء . . فأنا لـم أغادر فراشي ليلة وقوع الجريمة . وذلك الإنجليزي الذي يقيم معي في الغرفة يشـهـد بذلك . فكتب "**بوارو**" بعض

كلمات على ورقة أمامه. ثم رفع رأسه. وقال بهدوء:

– حسنا تستطيع أن تذهب. وانصرف الإيطالي وأمر "**بوارو**" خادم المركبة بأن يدعو السيدة السويديَّة التي تقيم بالغرفة رقم 10. وهنا قال "**بوك**":

– أتظن أن لها صلة قديمة بأسرة "**أرمستروبخ**"؟ أيمكن هذا!! أظن أن ذلك مستحيل.

– يجب أن نحاول معرفة كل شيء.. حتى ولو دعا الأمر إلى الارتياب بجميع المسافرين.. ومتى عرفنا كل شيء استطعنا تحديد المسؤوليَّة ومعرفة الفاعل. وأقبلت السيدة السويديَّة "**جريتا أولسون**" ففاجاها "**بوارو**" بقوله:

– إنك كنت تشغلين وظيفة خادمة في دار أسرة "**أرمستروبخ**"، وكان منوطا بك العناية بالطفلة "**ديزي**" أليس كذلك؟ فأجابت:

– بلى، هذا صحيح. إنها كانت ملاكًا.. أؤكد لك يا سيدي أنها كانت ملاكًا لا تعرف غير الحب والعطف. وقد اختطفها ذلك الرجل الأثيم وقتلها فقتل معها والدتها ووالدها.. إنك لا تستطيع أن تتصور الحقيقة يا سيدي.. ولكنني كنت هناك. وقد رأيت كل شيء. وسرني الآن أن أعرف أن هذا الرجل الأثيم قد قتل. فقال لها "**بوارو**" بلطف:

– إنني أقدر نبل عواطفك يا سيدتي.. ويسرني أنك اعترفت بالحقيقة، فلا داعي الآن لإرهاقك بالأسئلة.

فنهضت وهي تبكي. وأوشكت عند الباب أن تصطدم بـ"**ماسترمان**" خادم "**راتشيت**" الذي دخل المركبة مهرولا، قصد "**ماسترمان**" توا إلى حيث جلس "**بوارو**". وقال بهدوء:

– أرجو ألا أكون متطفلا يا سيدي. لقد رأيت أن أتقدم بنفسي لأعترف بكل شيء. وأريح ضميري. إنني كنت ملحقًا بخدمة العقيد "**أرمستروبخ**" في خلال

الحرب، وعندما وضعت الحرب أوزارها، ألحقني العقيد بخدمته في "**نيويورك**" وأنا آسف جداً؛ لأنني عندما كتمت عنك هذه الحقيقة ارتكبت بذلك غلطة جسيمة. فجئت الآن أكفر عنها، ولكني أرجو يا سيدي ألا يداخلك شك في "**أنطونيو فوسكاريللي**" ذلك الزميل القديم. فهو رجل طيب القلب. لا يستطيع أن يؤذي ذبابة، وأؤكد لك وأقسم أنه لم يغادر فراشه ليلة أمس. أي أنه من المستحيل أن يكون هو الذي قتل "**راتشيت**".

– أهذا كل ما عندك؟

– نعم يا سيدي. وتريث لحظة، ثم أحنى قامته وانصرف. وهنا نظر الدكتور "**قسطنطين**" إلى زميليه في دهشة وقال:

– هذا أعجب مما رأيت في أية قصة خياليَّة. فنظر إليه "**بوارو**" وقال وهو يبتسم:

– ولكن أخبرني.. ألم تفهم شيئًا حتى الآن.. ألم تعرف من الذي قتل السيد "**راتشيت**"؟

– هل تعرف أنت؟ فأجاب "**بوارو**":

– نعم. إنني عرفته، وعرفته قبل الآن بساعات، ولهذا يدهشني كيف أن أحداً منكما لم يفهم الحقيقة حتى الآن. ثم نظر إلى "**بوك**" وقال له:

– أرجو أن تتفضل بدعوة جميع المسافرين إلى هذه المركبة. فإن لي في هذه القضيَّة رأيين. أحب أن أعرضهما عليكم جميعًا..

أقبل المسافرون جميعًا إلى مركبة الطعام وجلسوا حول المائدة، وكان الناظر إليهم يقرأ في وجوههم شيئًا واحداً.. هو القلق. ونهض "**بوارو**" واقفًا فساد صمت عميق. قال بصوت هادئ:

– اسمحوا لي أن أتكلم بالإنجليزيَّة. فإنكم جميعا تفهمون هذه اللغة.

لقد أخذت على عاتقي مهمة البحث عن قاتل "**صموئيل إدوارد راتشيت**" الشهير بـ" **كاسيتي**" . فوفقت إلى تعليلين للجريمة وسأعرضهما عليكم، وأترك للسيد "**بوك**" والدكتور "**قسطنطين**" أن يحكما أيهما أصح.

إنكم تعلمون جميعًا تفاصيل القضيَّة. فقد وجد "**راتشيت**" قتيلا في غرفته صباح اليوم. وثبت أنه كان حيا يرزق حتى الساعة 12 والدقيقة 37 وهو الوقت الذي تكلم فيه مع ملاحظ مركبات النوم.

وقد وجدنا في أحد جيوبه ساعة مهشمة وقف عقرباها على الساعة الواحدة والربع. وقرر الدكتور "**قسطنطين**" الذي فحص الجثة أن الوفاة حدثت بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحًا. ومن الثابت أن القطار تعطل في منتصف الساعة الواحدة. ومن المستحيل أن يكون أحد الناس قد استطاع مغادرة القطار بعد أن تعطل؛ لأن الثلوج تحيط بالمركبات من كل ناحية. ويفهم من شهادة السيد "**هاردمان**" ، وهو بوليس سري يشتغل لحساب شركة كبيرة في "**نيويورك**" ، أن أحداً من المسافرين لم يكن في مقدوره أن يغادر المركبة دون أن يراه هو– أي السيد "**هاردمان**– لأنه كان يشغل الغرفة رقم 16. وقد قضى الليل كله ساهراً. ولذا يتعين علينا أن نعتقد أن القاتل لابد أن يكون أحد المسافرين بعربة النوم المعروفة باسم عربة ("**إسطنبول**" – "**كاليه**").

تلك كانت النظريَّة في بداية الأمر. ولكن ظهرت بعد ذلك نظريَّة ثانيَّة تنهض على الأدلة والحقائق التي عثرنا عليها. لقد ثبت لنا أن "**راتشيت**" كان يخشى عدواً بعينه، وأنه ذكر للسيد "**هاردمان**" أوصاف هذا العدو. وقال له إنه يخشى اعتداء على حياته.. وحدد موعد الاعتداء بأنه الليلة الثانية بعد أن يغادر القطار محطة "**إسطنبول**" . وأنا أؤكد لكم أيها السادة أن السيد "**راتشيت**" كان يعرف من أمر عدوه أكثر مما قال. وقد تسلل هذا العدو إلى القطار في محطة "**بلجراد**"

وربما في محطة "**فنكوفكي**" من الباب الذي تركه العقيد "**أريتنوت**" والسيد "**ماكوين**" مفتوحًا عندما نزلا إلى الرصيف. وكان هذا العدو مزودًا بثوب مستعار من ثياب موظفي مركبات النوم، وكان مزودًا كذلك بمفتاح مكنه من دخول غرفة "**راتشيت**" على الرغم من أن هذا الأخير كان قد أوصد بابه قبل أن ينام. وكان السيد "**راتشيت**" واقعًا تحت تأثير مخدر تناوله أو دس له في الشراب فطعنه عدوه عدة طعنات قويَّة. ثم نفذ من الباب الموصل إلى غرفة السيدة "**هوبار**". وهنا هزت السيدة "**هوبار**" رأسها وغمغمت:

– لابد أن يكون كذلك. ومضى "**بوارو**" يقول:

– وعندما دخل غرفة السيدة "**هوبار**". وقع بصره على حقيبتها. فوضع بها الخنجر الذي استعمله في الجريمة وفقد– دون أن يشعر– زرا من أزرار ثوبه. ثم نفذ إلى دهليز المركبة من خلال باب السيدة "**هوبار**". ودس الثوب في حقيبة بغرفة وجدها خاليَّة من صاحبها وارتدى ثيابه العاديَّة وترك القطار قبل أن يغادر المحطة. وكان خروجه من الباب القريب من مركبة الطعام. لا من الباب المواجه للغرفة رقم 16 التي جلس عندها السيد "**هاردمان**". وهنا صاح السيد "**بوك**":

– هذا غير معقول.. أتريد أن تقول إن الجريمة ارتكبت قبل أن يتعطل القطار؟! ولكن بماذا تفسر صوت الرجل الذي تحدث مع ملاحظ مركبات النوم في الساعة الواحدة والدقيقة 23؟ هذا الصوت إما أن يكون صوت "**راتشيت**" نفسه، أو يكون صوت الرجل الذي فتك به. فأجاب "**بوارو**":

– ليس من الضروري أن يكون صوت هذا أو ذاك. ربما كان صوت شخص ثالث نفذ إلى غرفة "**راتشيت**" ليتحدث إليه. ثم وجد "**راتشيت**" قتيلا. فدق الجرس بقصد الاستغاثة بملاحظ مركبات النوم. ثم عاد فأشفق أن يتهم بارتكاب الجريمة فلما أقبل ملاحظ مركبات النوم ودق الباب. قال ذلك الشخص إنه لا يريده، وإنه

دق الجرس خطأ. فقال "**بوك**" بلهجة المحنق:

– هذا ممكن. وبعد صمت قصير نهض الدكتور "**قسطنطين**" وهو يصيح:

– كلا. كلا هذا غير ممكن. هذا التعليل غير معقول.. هناك أشياء كثيرة لا يفسرها هذا التعليل. فابتسم "**بوارو**" وقال:

– ربما. ولكن يجب أن تذكر هذا الحل جيداً. فقد تضطر في نهاية الأمر أن توافق عليه. ثم تحول إلى الآخرين واستطرد:

– يوجد إلى جانب هذا الحل.. حل آخر. وسأذكره لكم. وأذكر كيف توصلت إليه.. عندما استجوبت المسافرين جميعًا وسمعت أقوالهم. وفكرت فيها. لاحظت أن هناك بعض أمور تستحق إمعان النظر، فعرضتها على صديقي السيد "**بوك**" والدكتور "**قسطنطين**" فلا داعي الآن للتكرار. ولكني أشير إلى بعض ملاحظات أخرى. كانت أهمها الملاحظة التي أبداها السيد "**بوك**" حين قال لي بعد أن غادرنا "**إسطنبول**" إن عربة النوم تجمع فئة غريبة من قوم مختلفي الجنسيَّة قل أن يتجمعوا في مكان آخر. وقد سألت نفسي.. أحقًّا أن مثل هذه الفئة لا يمكن أن تجتمع في أي مكان آخر؟ اهتديت إلى جواب. وتنبهت إلى أن بيوت العائلات الكبيرة في "**أمريكا**" تضم بين جدرانها عادة أقواما مختلفي الجنسيَّة واللغة. فسائق السيارة إيطالي، والمربيَّة إنجليزيَّة، والوصيفة فرنسيَّة، والخادمة سويديَّة.. إلخ. وعندما اهتديت إلى هذا الجواب أمكنني أن أسند إلى كل من المسافرين الوظيفة التي يحتمل أن يكون قد شغلها في بيت أسرة "**أرمسترونج**" وخرجت من ذلك بنتيجة مطمئنة. كذلك شرعت أفحص أقوال كل شخص.. ووقفت إلى ما يدعم النتيجة الأولى. من ذلك مثلا أنني استجوبت السيد "**ماكوين**" مرتين. ففي المرة الأولى كانت أقواله على ما يرام. ولكنه أبدى في المرة الثانية ملاحظة لفتت نظري. ذكرت له أنني عثرت في غرفة القتيل على ورقة تشير

إلى حادث اختطاف "**أرمستروبخ**" فبهت وأجاب:

– ولكن من المؤكد.. ثم عاد فضبط لسانه وأردف:

– أعني أن القتيل لابد أن يكون قد أهمل هذه الورقة. شعرت في الحال أنه أراد أولا أن يقول (ولكن من المؤكد أن هذه الورقة قد احترقت) وفهمت من ذلك أن "**ماكوين**" كان يعلم بأمر هذه الورقة، وأمر إحراقها. أو بمعنى آخر أنه هو الذي ارتكب الجريمة، أو اشترك في ارتكابها. واكتشفت بعد ذلك أمرًا آخر في شهادة "**ماسترمان**" خادم القتيل. قال لي "**ماسترمان**": إن القتيل اعتاد أن يتناول مخدرا في أثناء السفر. وقد يكون هذا حقيقة. ولكن هل يعقل أن يكون "**راتشيت**" قد تناول المخدر ليلة أمس؟ ذلك يتعارض تماما مع وجود المسدس تحت وسادته. ومما لا شك فيه أن "**راتشيت**" كان ينوي الاحتراس ليلة أمس. فإذا كان قد تناول مخدرا فإنه لم يتناوله من تلقاء نفسه، وإنما يكون المخدر قد دس له دون علمه، أما من الذي دس له هذا المخدر فهو بغير شك أحد اثنين: إما "**ماكوين**"، وإما "**ماسترمان**".

أنتقل الآن إلى شهادة السيد "**هاردمان**". إنني آمنت بكل ما ذكره عن اسمه وشخصيته ومهنته. ولكني ارتبت كل الارتياب في الطريقة التي اتبعها لحراسة القتيل ذلك؛ لأن الطريقة الوحيدة المضمونة هي أن يقضي "**هاردمان**" الليلة في غرفة "**راتشيت**"، أو على مقربة منها. بحيث يتسنى له مراقبة بابها. ولكني فهمت من أقواله إلى جانب ذلك مسألة على جانب عظيم من الأهميَّة. هي أن أحد المسافرين في المركبات الأخرى بالقطار لا يمكن أن يكون قد نفذ إلى المركبة التي وقعت فيها الجريمة، وأن الجريمة لابد أن يكون مرتكبها أحد المسافرين بالمركبة التي بها غرفة "**راتشيت**". ولم أوفق بادئ ذي بدء إلى معرفة غرض "**هاردمان**" من هذا التحديد، ولكني عرفت هذا الغرض فيما بعد وسأذكره في حينه. لقد

تحدثت عن الكلمات التي تبودلت بين الآنسة "**ماري دينهام**" والعقيد "**أريتنوت**" . ولكني ظللت أرتاب في معناها حتى استجوبت الآنسة "**دينهام**" للمرة الثانية أو الثالثة وواجهتها ببعض الحقائق. وعندئذ دعاها العقيد باسمها "**ماري**" ففهمت من ذلك أن الصلة بين الاثنين هي في الواقع أوثق مما كنت أظن. كان المفهوم أو المفروض أن الاثنين لم يتقابلا إلا منذ أيام. ولما كنت أعرف طباع الإنجليز أمثال العقيد، وأعلم أنهم لا يندفعون وراء عواطفهم بسرعة. فإنني أدركت في الحال أن الصلة بين الاثنين قديمة ووثيقة. وأنهما لسبب ما يتظاهران بأنهما غريبان. كذلك فهمت من ألفاظ نطقت بها الآنسة "**ماري دينهام**" ولا ينطق بها غير الأمريكيين. أن الآنسة زارت "**أمريكا**" . وقضت فيها وقتا على الرغم من إنكارها هذه الحقيقة. وأنتقل الآن إلى شهادة السيدة "**هوبار**" فأقول إنها قررت أنها لم تستطع وهي في فراشها أن تتأكد من حالة المزلاج نظرا لوجوده تحت الحقيبة المدلاة من مقبض الباب، وأنها طلبت من السيدة "**أولسون**" أن تتأكد من أن الباب مغلق بالمزلاج. وكلام السيدة "**هوبار**" يكون صحيحًا فيما لو كان رقم غرفتها هو 2 أو 4 أو 12 أو أي رقم زوجي؛ لأن المقبض في الغرف الزوجيَّة يقع حقيقة فوق المزلاج، أما في الغرف الفرديَّة فيقع تحت المزلاج. وهي تقيم في غرفة فرديَّة فالحكاية التي سردتها مفتعلة من أولها إلى آخرها. وسأتكلم الآن عن الوقت الذي وقعت فيه الجريمة فأقول إن وجود الساعة في جيب القتيل من الغرابة بمكان؛ لأنه يوجد مكان خاص لوضع الساعة بجانب الفراش. فالساعة إذن وضعت في جيب القتيل. وأوقفت عقاربها عند الساعة الواحدة والربع بقصد التضليل والتمويه لا غير. والمسألة الآن.. هل ارتكبت الجريمة قبل هذا الوقت أو بعده؟ أو بمعنى آخر هل ارتكبت في الساعة الواحدة إلا 23 دقيقة. وهو الوقت الذي سمعت فيه الصيحة التي أيقظتني من نومي؟ ولكن مادام "**راتشيت**" قد تناول

مخدرا فلا يمكن أن يكون قد استغاث. ولو استطاع الاستغاثة لأمكنه أن يقاوم، وأن يدافع عن نفسه. بيد أنني لم أر على الجثة أي أثر من آثار المقاومة. وإنني أذكر أن السيد "**ماكوين**" قد لفت نظري مرتين لا مرة واحدة إلى أن "**راتشيت**" لا يتكلم الفرنسيَّة. ففهمت أن الحكاية مدبرة لحملي على الاعتقاد بأن الشخص الذي سمعته يتكلم قبيل الساعة الواحدة لابد أن يكون القاتل، وأن "**راتشيت**" لابد أن يكون قد قتل قبل ذلك. ولكني الآن واثق بأن "**راتشيت**" كان في ذلك الوقت لا يزال مستغرقا في النوم تحت تأثير المخدر. بيد أن الحيلة نجحت في وقتها؛ لأنني فتحت باب غرفتي. وسمعت الكلام الذي نطق به صاحبه بالفرنسيَّة. والمسألة الآن هي: متى ارتكبت الجريمة بالضبط ومن المجرم؟ إنني أعتقد أن "**راتشيت**" قتل قبل الساعة الثانية بدقائق ورأي الطبيب يؤيد نظريتي أما من القاتل؟

وهنا صمت لحظة وأجال الطرف بين المسافرين فألفاهم جميعا ينصتون إليه باهتمام. وينتظرون بفارغ صبر كل كلمة ينطق بها فأردف:

– لقد لفت نظري استحالة إثبات الجريمة على شخص بعينه. ولفت نظري بالأكثر أن كل مسافر استطاع أن يجد من شهادة غيره ما ينفي عنه التهمة، فالسيد "**ماكوين**" والعقيد "**أريتنوت**" مثلا قد تمكن كل منهما من أن ينفي التهمة عن الآخر. وكانت أقوال كل منهما قابلة للتصديق؛ لأنه لا يبدو (في الظاهر) أن لأحدهما علاقة سابقة بالآخر. كذلك كان الحال مع "**ماسترمان**" و"**أنطونيو**"، ومع السيدة السويديَّة والآنسة "**دينهام**" فقلت لنفسي: لا شك في أن هذا أمر خارق للعادة. إذ لا يحتمل أن يكون المسافرون جميعًا قد اتفقوا على ارتكاب الجريمة وعندما قلت لنفسي ذلك أيها السادة. انبلجت لي الحقيقة وعرفت في الحال أن المسافرين جميعا قد اتفقوا على قتل "**راتشيت**"؛ لأن سفر أشخاص

كثيرين مختلفين لهم صلة بأسرة "**أرمسترونج**" في ذات القطار الذي يسافر فيه "**راتشيت**" ليس مجرد مصادفة، بل من المستحيل أن يكون مجرد مصادفة. وإذن قد كان هناك تدبير.. وتدبير محكم. قلت لنفسي:

– لقد ارتكب "**راتشيت**" في "**أمريكا**" جريمة منكرة. واستطاع الإفلات من العدالة بفضل بعض ذوي النفوذ، فهل يبعد أن يكون اثنا عشر شخصًا ممن روعتهم جريمته قد ألفوا فيما بعد محكمة على نمط محاكم المحلفين وأصدروا حكمهم عليه بالإعدام. واقتضت الظروف أن يسهموا جميعًا في تنفيذ الحكم؟ كلا لا يستبعد ذلك.

رأيت الحقيقة حينئذ ولمستها بيدي. وعرفت الدور الذي أسند إلى كل من المتآمرين. وفهمت أن الاتفاق قد تم بينهم على أنه إذا انحصرت الشبهة في أحدهم تقدم الآخرون لإقصاء هذه الشبهة عنه ولتضليل المحققين، ولكن هل تؤيد الأدلة هذه النظرية؟ نعم تؤيدها وطبيعة الجروح تدل على أن كل جرح قد أحدثه شخص مختلف. أما حكاية خطابات التهديد التي تسلمها القتيل قبل مصرعه. فإنها كانت مفتعلة وكان الغرض منها أيضا تضليل المحققين، وأما شهادة "**هاردمان**" التي قرر فيها أن القتيل طلب إليه أن يحرسه فإنها أكذوبة من أولها إلى آخرها. والغرض منها كذلك التضليل وإقناع المحقق بأن القاتل (رجل قصير القامة صوته كأصوات النساء).

ولعل فكرة قتل "**راتشيت**" بهذه الطريقة هي من أعجب ما يمكن أن يخطر بالبال. وقد وقع الاختيار على الخنجر؛ لأن الخنجر لا يحدث الضجة التي يحدثها الطلق الناري، وأستطيع الآن أن أرى المسافرين بعين الخيال وهم يتسللون إلى غرفة "**راتشيت**" من خلال غرفة السيدة "**هوبار**" ويطعنونه الواحد تلو الآخر. دون أن يعلم أحدهم أية طعنة كانت القاضيَّة. وإني أعتقد أن خطاب التهديد الوحيد

الذي وصل إلى يد القتيل هو ذلك الخطاب الذي عثرت على بقاياه بعد احتراقه، وقد ظن المتآمرون أن إحراق هذا الخطاب يزيل الشبهة عنهم جميعا ويجعلهم في مأمن من الاتهام، ويصرف ذهن المحقق إلى أن القاتل ليس بين المسافرين وأنه قصير القامة، يتكلم بصوت كأصوات النساء، وأن هذا القاتل قد تسلل إلى القطار وارتكب جريمته وهرب في محطة "**بلجراد**".

ولا أعلم على وجه التحقيق متى اكتشف المتآمرون فشل هذا الجزء من تدبيرهم بسبب تعطل القطار وعدم وصوله إلى محطة "**برود**"، ولكن من المؤكد أنهم تشاوروا فيما بينهم بسرعة. ووضعوا خطة العمل لتضليل المحقق. ولهذا الغرض وضع المتآمرون دليلين في غرفة القتيل أحدهما فرشاة الغليون وهي توجه التهمة إلى العقيد "**أربتنوت**" الذي تقوم الأدلة الكافية على براءته ولا يوجد أي دليل على أن له صلة سابقة بأسرة "**أرمسترونج**"، وثانيهما منديل الأميرة "**دراجوميروف**" التي لها من مركزها الاجتماعي وضعفها الجثماني وشهادة وصيفتها ما ينفي عنها كل تهمة. ثم إنهم دبروا بعد ذلك حكاية المرأة ذات الوشاح الأحمر وأحدثوا الصوت الذي جعلني أفتح باب غرفتي وأطل فأرى تلك المرأة التي شهد على وجودها أشخاص كالآنسة "**دينهام**" "**ماكوين**" وغيرهما ممن لا يتطرق إلى الذهن فكرة وجود تفاهم بينهم، وبلغ من جرأة أحد المتآمرين أنه وضع الوشاح الأحمر في حقيبتي مبالغة في تضليلي. ولست أعرف على وجه التحقيق صاحبة الوشاح. ولكني أعتقد أنه وشاح الأميرة "**أندريني**"؛ لأنني وجدت في حقائبها وشاحًا واحدًا يصلح للمنزل لا للقطار.

ولا شك في أن السيد "**ماكوين**" ما كاد يعلم أن الخطاب لم يحرق كليَّة، وأنني تبينت فيه كلمة "**أرمسترونج**" حتى هرول إلى زملائه فنقل إليهم هذا الخبر المزعج، ووجدت الأميرة في الحال أن مركزها قد تحرج فأقدم زوجها على تزوير

جواز السفر ليبعد عنها كل ريبة. وقد تم الاتفاق بين المتآمرين جميعًا على أن ينكروا صلتهم بأسرة "**أرمسترونغ**" اعتقاداً منهم بأنني لا أملك وسائل التحقيق. وهذه هي نظرتي في جريمة مقتل "**راتشيت**". فإذا كانت صحيحة. واعتقادي أنها صحيحة- وجب أن يكون لـ"**بيير ميشيل**" ملاحظ مركبات النوم أصبع في الجريمة، وهذا يجعل عدد المتآمرين الذين طعنوا القتيل 13 لا 12 وإذن لابد أن يكون هناك شخص لم يشترك فعلا في ارتكاب تلك الجريمة ولم يطعن القتيل فمن هذا الشخص؟!

استنتجت أن هذا الشخص البريء لابد أن يكون أقرب الناس اتصالا بالجريمة وصاحب المصلحة الحقيقيَّة في ارتكابها أعني الأميرة "**أندريني**". وقد أكد الأمير بصفة لا تقبل الشك أن زوجته لا أصبع لها في الجريمة ففهمت من ذلك أن الأميرة بريئة حقيقة. وإذن كان "**بيير ميشيل**" أحد الذين تآمروا على "**راتشيت**". وأحد الذين اشتركوا في قتله. ولكن كيف يمكن تفسير هذا الاشتراك؟!

إنه رجل وديع، وقد قضى في خدمة شركة مركبات النوم عدة أعوام، وهو فوق ذلك ليس بالرجل الذي يرتشي لتسهيل ارتكاب إحدى الجرائم. إذن لابد أن تكون له صلة بأسرة "**أرمسترونغ**".. وهنا تذكرت أن المربيَّة التي انتحرت كانت فرنسيَّة. فقلت لنفسي: ألا يحتمل أن تكون المربيَّة التي انتحرت هي ابنة "**بيير ميشيل**"؟!

ووجدت أن هذه الحقيقة تفسر كل شيء، كما أنها تفسر أسباب اختيار هذا القطار لارتكاب الجريمة. وأنا أعتقد الآن أنني أوضحت كل شيء يتصل بشخصيات المتآمرين، ويبقى أن أحدد فقط مركز العقيد "**أريتنوت**" و"**هلدجارد شميدث**" و"**هاردمان**" والسيدة "**هوبار**"، فأما العقيد فإنني مقتنع بأنه كان صديقا للعقيد "**أرمسترونغ**"، وأما "**هلدجارد شميدث**" فقد فهمت من حديثها

أنها تجيد طهو الطعام. وإن كانت قد حاولت أن تقنعني بأنها تشتغل وصيفة منذ عشرات الأعوام، وعلى ذلك فإن مركزها في بيت أسرة "**أرمسترونج**" كان بغير شك مركز الطاهية. أما السيد "**هاردمان**" فإنني أيقنت أنه لم يتصل عن قرب بأسرة "**أرمسترونج**"، وكل ما استطعت استنتاجه هو أنه ربما كان يحب المربية الفرنسيَّة التي انتحرت، والدليل على ذلك أنني حدثته مرة عن جمال النساء غير الأمريكيات فأشاح بوجهه. فاغرورقت عيناه بالدموع.

تبقى السيدة "**هوبار**" وأستطيع أن أقول إن دورها في هذه المأساة كان أهم الأدوار؛ ذلك لأن وجودها في الغرفة المجاورة لغرفة "**راتشيت**" كان من شأنه أن يحرج مركزها أمام المحقق، وأن يعرضها لأقوى الشبهات. ولكنها أنقذت نفسها، أو حاولت أن تنقذ نفسها بتمثيل دور المرأة الخائفة المرتعبة، وهو دور يحتاج إلى ممثلة قديرة.. وبحثت في ذهني عن ممثلة لها اتصال بأسرة "**أرمسترونج**".. واهتديت في الحال إلى أن والدة السيدة "**أرمسترونج**" هي الممثلة الأمريكيَّة الذائعة الصيت "**ليندا آردن**"..

وهنا صمت "**بوارو**". وتحولت جميع الأنظار إلى السيدة "**هوبار**" التي نهضت في الحال وراحت تقول بصوت هادئ:

– لقد كنت دائمًا أجيد القيام بمثل هذا الدور. ولكني أخطأت حقًّا في مسألة المزلاج والحقيبة. إذ لم يخطر ببالي أن موضع المزلاج في الغرف الزوجيَّة يختلف عنه في الغرف الفرديَّة. ومهما يكن من أمر فإنني لا يسعني إلا أن أهنئك يا سيد "**بوارو**" فأنت في الحق رجل عجيب. وقد استطعت أن تعرف كل شيء.. ولكني مع ذلك أرتاب في أنك تستطيع أن تتصور ذلك اليوم الهائل الذي مر بنا في "**نيويورك**" أمام جثة "**ديزي أرمسترونج**".

لقد شهد الخدم جثتها، كذلك شهدها العقيد "**أربتنوت**" الذي كان من أعز

أصـدقـاء العـقـيـد "**أرمـسـتـرونج**" . ولقـد جن جنوني بعـد هذا الحـادث الذي وقع لحفيـدتي، وبرح بي الحزن لوفاة ابنتي وزوجـهـا . وكذلك كـان شأن المتصلين بأسـرة "**أرمسترونج**" جميعًا. فتم الاتفـاق بيننا على أن ننتقم من "**كاسـيتي**"، وأن ننفذ فيـه حكـم الإعدام إذا استطاع أن يفلت منه. كنا اثني عـشر شخصًا. أو بمعنى آخر أحد عشر شخصًا؛ لأن والد "**سوزان**" كان يقيم في "**فرنسا**" . قد خطر لنا أولا أن نعين بالاقتراع من يتولى الفتك بـ"**كاسيتي**"، ثم اقترح "**أنطونيو**" أن نشترك كلنا في ذلك. وقـامت الآنسـة "**مـاري دينهـام**" بعـمل الـتـرتيب اللازم بـالاتفـاق مع "**هكتور ماكوين**" الذي كان يخلص الإخلاص كله لابنتي "**سونيا**" . وقد اقتضى إحكام التدبير وقتا طويلا. فقد كان علينا أولا أن نتعقب "**راتشيت**،" فقام السيد "**هاردمان**" بهذه المهمة. ثم كان علينا أن نلحق "**ماكوين**" و"**ماسترمان**" بخدمته وتمكنا من ذلك أيضًا. ثم قابلنا "**بيير ميشيل**" والد "**سوزان**" وتم التفـاهم بيننا وبينه. وقـد أصر العـقـيـد "**أربثنوت**" على ألا يقل عـددنا عن اثني عـشـر كـعـدد المحلفين في المحاكم. حتى تتخذ الجريمة صفة العدالة، ولم يوافق على فكرة استعمال الخنجر حتى أقنعناه بأن الخنجر هو السلاح الوحيد الذي يفي بالغرض. قد وجدنا من "**بيير ميشيل**" ميلا إلى التعاون معنا؛ لأن "**سوزان**" كانت ابنته الوحيدة. ثم علمنا من "**هكتور ماكوين**" أن "**راتشيت**" ينوي العودة بقطار الشرق الذي يعمل فيه "**بيير ميشيل**" . فكانت الفرصة سانحة وقررنا أن نستأجر جميع غرف مركبة ("**إسطنبول**" ـ "**كاليه**") التي يسافر بها "**راتشيت**" . ولكن حدث لسوء الحظ أن إحدى الغـرف حجزت لشخص يدعى السـيـد "**هاريس**"، ولما لم يحضـر السـيـد "**هاريس**" هذا نقلت أنت إلى غرفته في اللحظة الأخيرة. وصمتت لحظة ثم عادت فاستطردت:

ـ أنت تعلم الآن كل شيء يا سيد "**بوارو**" .. فماذا تنوي أن تفعل؟

إذا كـان لابد من إذاعـة نبـأ هذه الجـريمة. أفـلا تسـتطيع أن تلقي التـهـمـة عليّ وحـدي؟ إنني على اسـتـعـداد لأن أطعن هـذا الرجل اثنتي عـشـرة طعنة؛ لأنه قـتل حفيدتي.. وكـان سببا في موت ابنتي وزوجـها، ولاشك في أنه ارتكـب قبل ذلك جرائم من هذا القبيل، ولاشك كذلك أنه لو ترك حيا لارتكب في المستقبل جرائم أخرى. لقد لفظه المجتمع وأصدر حكمه عليه ونفذنا هذا الحكم. ولكنني لا أرى من الضـروري أن تشـرك مـعي كل هؤلاء الأصـدقـاء المخلصين.. يجب أن تتـركـهـم جـمـيعًا. وتلقي التبعة عليّ وحـدي.. اترك "**بيـيـر مـيـشـيـل**" المسكين.. واترك "**ماري**" والعقيد فإنهما يتبادلان الحب..

وكان صوتها المؤثر يدوي بتلك النبرات التي طالما هزت قلوب النظارة في مسارح "**نيويورك**". فالتفت "**بوارو**" إلى صديقه السيد "**بوك**" وقال له:

– إنك مدير الشركة يا صديقي.. فما رأيك؟ فقال "**بوك**":

– رأيي أن الحل الأول أصح، نعم من المؤكـد أن الحل الأول هـو الأصح، فـالقـاتل ارتكـب جـريمته وفـر من القـطار. هذا مـا يجب أن نـقـوله للبـوليس اليـوغـوسـلافي، وأنـت أيها الدكتور هل توافق؟ فأجاب الدكتور "**قسطنطين**" على الفور:

– بغير شك.. أما فيـما يتعلق بتشـخـيص الإصابة من الوجـهة الطبيّة.. فإن في إمكـان الطبـيـب دائمـا أن يبـدي اقـتـراحـات شـاذة، وأن يؤيدها بـالأدلة. فـقـال "**بوارو**":

– لقد أدليت لك بآرائي.. والآن عليّ بالانسحاب.

تمّت بعون الله

الغلاف الخلفي

جريمة في قطار الشرق

لم يستطع أن يحوز على حب أحد ممن حوله. فقد كان مكروهًا من كل إنسان. لذا لم يكن من العجيب أو المستغرب أن تكتشف جثته ذات صباح داخل إحدى عربات القطار، وقد غرقت في بحر من الدماء.

ولكن ما يدعو للعجب حقًّا أنه قد طعن باثنتي عشرة طعنة وفي مواضع مختلفة، بل وبعض هذه الطعنات قد أصابته بعد موته، وكأن القاتل أراد أن يتأكد من موته.

إنها جريمة تحمل العديد من الأدلة، ولكن كل هذه الأدلة تشير إلى امرأة قد شوهدت بالقرب من مكان الجريمة عقب ارتكابها مباشرة، فهل يمكن أن تقتل امرأة بكل هذه الوحشيَّة؟! أم أن في الأمر سرًّا؟

حقًّا إنها قضية محيرة، فهل يمكن للمفتش "بوارو" أن يزيل غموضها ويتوصل للحل؟ أم أن القاتل سيظل مجهولا، ولن يستطيع أحد أن يحقن بحر الدماء الذي يسيل بين عربات القطار.